د .صالح الفهدي

أعمال مسرحية - ١

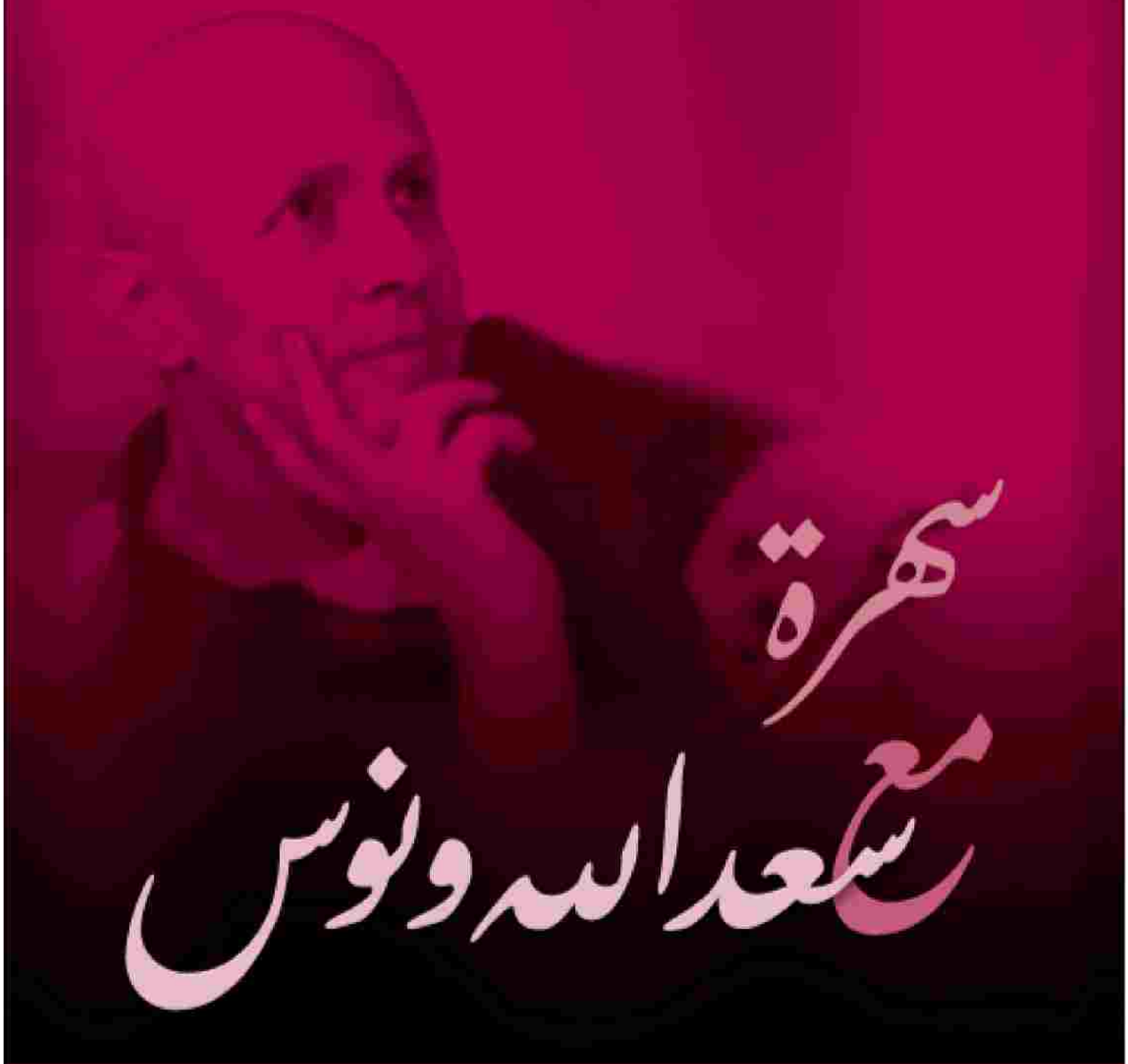

سهرة مع سعد الله ونوس

آفاق معرفة متجددة

دار الفكر

www.fikr.com

المحتوى

سهرة مع سعد الله ونوس ٧

منوبولي ٥١

الشفق ٨١

ذكرى منسيّة ٩٧

صفحة بيضاء
رقم ٦

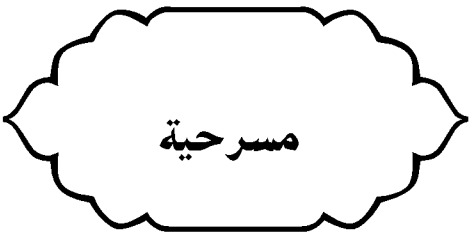

سهرة مع

سعد الله ونّوس

صفحة بيضاء
رقم ٨

هذه المسرحية

استدعاء الشخصيات التاريخية - التي غدا سعد الله ونّوس أحدها - هي محاولةٌ لتكوين "لعبةٍ مسرحية " رأيت فيها خدمة للفكرة التي أردت طرحها، والأسئلة الافتراضية التي ألقيتها في جملةٍ من الفضاءات المفتوحةِ في النَّص المسرحي.

وحين ترتكز اللعبة المسرحية على ممارسة "التّنكر" فإن الأقنعةَ هنا تغدو عنصراً أساسياً يتحكّم في نجاح اللعبة، وتقديمها بالشكل المستهدف.

هذه المسرحية "سهرة مع سعد الله ونّوس "تتشكّل عبر جملةٍ من الأُطر المسرحية، أبدؤها بإطار مفترض لمسرحية "أورام سرطانية" أبتكرها عبر أخيلة افتراضية لسعد الله ونّوس وهو على سريره الأخير في العناية المشدّدة، لتتشظى في جملةِ أُطرٍ، تبدو مستقلةً، لكنها ليست كذلك، إذ إن الورم السرطانيَّ يظهر في كل فضاءٍ من الفضاءات المجترحة، مع وجود الوريدِ الرابط بينها والذي تتخلله الأورام.

كما استحضرتُ الجارية (تودّد)، وهي إحدى بطلات ألف ليلة وليلة لترمز إلى علاقة سعد الله ونّوس بالتراث في معالجاته لإعادة

كتابة التاريخ في الشكل الممسرح، ولما تمتّعت به هذه الجارية من ثراءٍ معرفي واسع يجعلها في مرتبةٍ أسطورية. ووجدتُ نفسي في حاجةٍ ماسّة - في سياق الفكرة المطروحة - إلى التناص الكامل أحياناً مع بعض أبيات قصيدة " زينب " للشاعر المصري محمد أبو دومه.

هنا تتشكل فسيفساء؛ لكن على شكل أورام سرطانية، تحملُ دلالات الاستلاب، والازدواجية، والوهم والابتذال، وجمود الوعي، وغيرها..

صالح الفهدي

الشخصيات:

أربع شخصيات هي مجمل الشخصيات، وستقوم بأداء الكثير من الأدوار، والأسماء الرئيسية لها هي:

- **سعد الله ونّوس**.
- **الجارية تودّد**.
- **حسين**.
- **مارسيل**.

صفحة بيضاء
رقم ١٢

البداية..

(قبل أن يفتح الستار، صوت جهاز القلب يصدر دقاتٍ منتظمة - **الصوت الذي يظل طوال العرض منتظماً كخلفية للحدث الدائر فيه دون انقطاع حتى الإشارة في النص إلى توقفه** - ثم يسمعُ صوت العود تفتحُ في أثنائه الستارة، تسلّط بقعةٌ من الضوء على عازف العود، الذي يظهر بهيئة غير مرتّبة، حيث الشعر المتهدّل في غير انتظام، والذقن النابت بصورة عشوائية، يهمهم بكلمات في أثناء عزفه، ثم يتوقف عن العزف والغناء مع اقتراب شبحٍ في الظلمةِ منه، يكتشف فيما بعد أنه شخص سعد الله ونّوس وهو في رداءِ المرضى، يجرُّ مشجب علبة سائل السيروم المعلّقة والمتصلة بيده من خلال أنبوب طبي رفيع، يبدو عليه الإرهاق والإعياء.. يشعر مارسيل بوجوده، يتحدث دون أن يرفع رأسه):

مارسيل ستضبطُ في نهاية الأمر.. **(صمت)** عنيدةٌ أعرف! لكنني وعدتُ حبيبتي وبعض الأصدقاء على أن أضبط (الجملة السحرية التي يغدو بها الزمن جميلاً، والبلاد مزدهرة)[1].

سعد الله مرّت أعوامٌ عديدةٌ منذ النكبة، وأنت تسعى إلى ضبط أوتار عودك يا مارسيل..

مارسيل **(بأسلوب العارف)** وستتضاعف السنوات، وأنا على هذه

(١) مقولة لسعد الله ونوس.

الحال (**بروح الصبور المعاند**) ولكنني لن أتنازل عن ضبطها..(**يضحك بسذاجة، يتحدث بصوت خافت نوعاً ما**) قالت لي حبيبتي إن ضبط الإيقاع لن يتأتّى إلّا ذات ليلةٍ يكونُ فيها القمرُ محاقاً.. ولا يستطيعُ قمرٌ آخر ضبطي وأنا أعالجُ الإيقاع!

سعد الله كنتُ أدركُ أن الأمر غير يسيرٍ على الإطلاق..هو أشبه بولادةٍ قيصرية!

مارسيل (**يضحك وهو يشدُّ أوتار عوده، يتحدث بثقة**) يبدو أنك لا تعرفني حق المعرفة، أنا مارسيل، ألم تسمع بي..؟

سعد الله (**سارحاً، مقاطعاً**) لقد انتهكنا معرفة بعضنا البعض، كنّا نتواصل في ضبط ذات الأوتار لكن كلٌّ يفعلها بطريقته، ويبدو أننا نسيرُ دائماً في التوصيف الخاطئ للأشياءِ أيها الصديق (**عزف بسيط، ثم صمت**) لستُ أدري إلى متى ستلاحقني النكسةُ..

مارسيل ربما إلى مثواك الأخير..

سعد الله أتدري؛ أنا لا أكره الموت، ولكنني حزين لأننا سنخلِّف وراءنا تركةً ثقيلة لأبنائنا.. ربما يجبُ علينا أن نعلن الهزيمة.. على الأقل هذا ما يجب أن أفعله.

مارسيل افعل ما شئت فلن أعترض عليك. لن آبه بالأحرى.. (**بتأكيد التسفيه**) كما أنك تربكني أيها المنشغل بالهزيمة.. (**يضرب على الأوتار بطريقة تنمُّ على العشوائية، وعدم التمكّن**)

لقد أصبحت قاب قوسين من ضبط الجملة السحرية التي قصدها سعد الله ونّوس ذات يوم، ربما كانَ يهلوس.. من يدري **(يطلق ضحكةً بلهاء)**..

سعد الله **(سارحاً بعمق، بصوت هادئ)** الجملة السحرية.. الجملة السحرية، آهٍ أيتها الكلمات، ألم تغادري محطّات الحُلمِ بعد..؟!! **(يختفي)**

مارسيل اسمع هذه **(عزف آخر بعشوائية)**.. اسمع، اسمع.. يا للا لا.. يا اللا لي..هل أعجبتك، سأكلّف رأسي بالنظر إليك **(لا يراه)** فراغٌ أجوف..!! من يدري، ربما كان ربُّ الإلهام.. إذن فهي علامةُ الترقّي، هيا، هيا أيها الساحر لقد أوشكتَ على الوصول..هيا.. هيا **(يعزف، في طريقه خارجاً من المسرح)**

(تفتح الإضاءة على سعد الله ونّوس وهو ممدد في السرير، يظهر عليه الإعياء والإرهاق، يتصل أنبوب السائل من الحقنة السائلة إلى وريد يده، تلبسُ تودّد ملابس الممرضة، فيما يشبه ممارسة التّنكر، وتقمّص الشخصيات، يصبحُ اسمها زينب)

سعد الله صباح الخير أيتها الممرضة

زينب صباح الصحّة التي تنضح من خدودك يا سعد الله ونّوس..

سعد الله شكت لي العجوز التي تنام في القسم بأنني أثرتُ انزعاجها ليلةَ البارحة، يبدو أن ذلك سيكون ديدني حتى يعطي هذا الصوتُ المؤشرَ الأخير.

زينب هي الأخرى كانت تغيبُ في نوبات مسعورة، وتهذي بكلماتٍ غير مفهومة..

سعد الله هل كان الأطباء يغمغمون بشيء عن طريقة خروجي من قسم العناية المشددة على الأقل؟

زينب **(مناورةً)** لستُ متأكدة..

سعد الله أخبريني أيتها الممرضة الحسناء.. أتكرهين الموت..

زينب لا أستطيع القول بأنني أكره، ولكنني لا أفكر فيه، على الأقل في الوقت الحاضر..

سعد الله أنت مدهشة. أتعلمين يا زينب ما الذي سأفعله حين أغادر المستشفى؟

زينب **(وهي تضع مقياس الحرارة في فمه)** ما الذي ستفعله أيها المسرحي الكبير؟

سعد الله **(تخرج الكلمات معوجّة لوجود أنبوب قياس الحرارة في فمه)** سأكتبُ مسرحيّة جديدة.

زينب ما الذي تفعله؟ **(تُخرج منه الأنبوب)**

سعد الله سأكتب مسرحية جديدة.. عنوانها "أورام سرطانية".

زينب **(تقيس الضغط)** أعوذ بالله! عليك أن تكتبَ في أشياءَ تفتحُ النّفس، كالحبِّ مثلاً، كوصال العاشقين، كالأيام الرّبيعية العذبة، كالطفولة البريئة.. أمّا هذا الخبيث فعليك أن تتجنب ذكره..

سعد الله ستكون رقصتي الأخيرة على الأسطح البيضاء النقيّة. هذه المسرحية يا زينب هي الأنسبُ في زمننا هذا، أقصدُ زمنكم (**صمت بسيط، وهو يتخيّل**).. السرطان.. نعم السرطان. فكّرتُ كثيراً في العنوان ووجدته هو الأنسب..

زينب لستُ أفهم كثيراً في الحقل الذي تكتبُ فيه. (**وهي تنظر في جهاز قياس الضغط**) ضغطك مرتفع إلى نسبةٍ ما، لكنه أفضلُ من البارحة..

سعد الله لا تتصورين أيتها الممرضة كم نحنُ محتاجون لتمعن شرطنا التاريخي، وإعادة التفكير في قناعاتنا وأفكارنا..

زينب لستُ أدري! أو لا يهمّني بالأحرى. استلام مرتبي كاملاً غير منقوص هو قضيتي المصيرية (**وهي تحقنه، وتخرج**)

سعد الله (**يواصل الكلام دون أن يشعر بغيابها**) المخدّر (**تؤلمه الإبرة**) آه. أقول المخدّر الذي يسري في أوردتنا (**يبدأ في فقدان التركيز**) يا فايزة.. يمنعنا من التفكير في أنفسنا، في تأمّل شرطنا التاريخي، وفي فكرة الحياة التي (**ترتخي أجفانه، يغشيه النوم بسبب الحقنة**) نحياها، ونسير في.. (**صوت جهاز مراقبة القلب متواصل، في حين يسمع صوت شخير. ينهض سعد الله ونّوس من السرير، تسلّط الإضاءة الزرقاء على مكان وقوفه، يكونُ سعد الله ونّوس واقفاً وراء جدارٍ له فراغات ذات نقوش إسلامية (أرابيسك)، يبدو بصحةٍ جيّدة، تصبح نظراته أكثر نفاذاً، وحدّة، بينما يغادر الذبول خدوده، وترتسم الأُبهة على هيئته**).

سعد الله **(تجتاحهُ مشاعر حبٍّ فوارة)** الجارية تودُّد!!

الجارية تودّد كيف يمكنُ لفراشةٍ مثلي أن تحبس في قفص وإن كان من ذهب؟

سعد الله يا للروعة، يا للروعة، لا أكاد أصدّق عينيَّ.. أنتِ الآن / هنا.. للأبد.

تودّد ما بالُ عينيك يا سعد الله ونّوس قد دبّ فيهما الذبول، وجسمك قد اعتراه الوهن؟!

سعد الله **(يطلق زفرة عميقة)** آهٍ يا تودُّد! كم تجرّعتُ من المرارة كؤوساً في غيابك أيتها الحبيبة، كؤوس اللوم والتقريع.

تودّد لِمَ كلّ هذا يا سيّدي ما أنا إلّا.. **(يشيرُ لها بيده كي تتوقف)**.

سعد الله ما أنت إلّا هذا النابض بين جوانحي يا حرّة الحرائر. المدينةُ أضحت تحسدني عليك يا تودّد، بعد أن كشفت زيف التحذلق لعالم وفقيه وطبيب وحامل معرفة، حين تساقطوا واحداً إثرَ الآخر، وخرجوا من بلاط الخليفة يجرّون أذيال الهزيمة وعلى أكتافهم ثيابهم التي خلعوها بعد أن خسروا الرّهان. فكّرتُ يا تودّد أن الأشياء والشخوص التي بيننا، ما هي في معظمها إلا أورام تظهر في صورة شحم.. وأن علينا أنا وأنت أن نستمرَّ في كشف أوراق اللعبة.. ثقي تماماً أنّ هؤلاء الذين نكصوا على رؤوسهم مهزومين سيتّحدون، وسيسعون للانتقام، لن

يدعوك تحتفلين بانتصاراتك بعد أن قمت بتعريتهم.. **(صمت، بارتداد نفسي غاضب، لكنه هادئ النبرة)** وإلامَ اللومُ وأنا الذي جنيتُ على نفسي بعد أن قادني مزاجي التّهكمي إلى درجة الاحتقان؟! **(يطالعها بنظرة منهزمة)** تودد. **(صمت)** هل تدركين أنني أتفسّخ؟ **(صمت، بأسلوب ساخط)** ما أتفه الإنسان حينما تُنتهك حميميته! **(صمت)** حسناً، ربما لا تدركين جيداً ما أقول، لكنّك تتخيلين الثمرة المتورّدة في أوج نضجها حين يدبُّ عليها فجأة صاعقٌ فتتهتك، وتنسلخ من تكوينها. **(بحرقة)** أمقتُ الأحاسيس التي تتدفقُ من العيون المشفقة التي تطبطب عليّ، كلّ نظرةٍ تركلني بعيداً عن ميدان البشر، **(بسرحان)** بدأتُ أحلمُ بالطفولةِ والبراري الشاسعة، والوجوه القديمة، والأقاصيص المتلاشية تحت أردية النسيان **(صمت خفيف)** قولي يا تودّد: ما الذي جنيته في نهاية المطاف؟! دواملُ تتفجر وأخرى تولدُ أشد إيلاماً منها، إنني أنهار.

تودّد **(تتردد، تغيّر مسار الموضوع)** آه نسيت، لقد أحضرت لك بعض الفواكه والعصائر الطازجة، ما رأيك أن..

سعد الله **(مقاطعاً، يكمل بذات الإحساس المر)** الشعورُ الوافرُ بالعدمية يجتاحني. يتفاقمُ لديَّ الإحساسُ بأنني لا أسمع سوى الهذيانات والكلمات المهزومة، والخطا المتراجعة، كلّ شيء في قلبي ينحدر إلى هاويةٍ سحيقة. **(صمت**

قصير، تراجع) أنا آسف، أعتذر بشدّة، لم يكن من المناسب قط أن أنتهك دهشة اللقاءِ بهذه الحالة اليائسة. على كل حال، كيف رضي الخليفة أن تغادري البلاطَ وأنت على ما أنت عليه من العلم والأدب والمحاجة فيهما؟

تودّد صعقته بطلب الرجوع إليك، وصعقني بالإيجاب!.

سعد الله كيف وقد اشتراك بثمنٍ باهظ، وبشكل قاطع فإنك لاشكَّ قد ملأت قلبه..

تودُد ربّما أدرك أني سأضمحلُّ بعيداً عنك، ففضّل أن يذعن لطلبي كي أبقى حيّة، أنت تعرفُ أن الرّجل قد ذاق العشق وتقلّب على جمر هواه!

سعد الله الأمرُ غريبٌ يا تودُّد، ومبهمٌ في الوقتِ ذاته، كيف غادرته شهوةُ التّملّك؟!!

تودُد هذا كلّه لا يهم. المهم عندي هو أني عدتُ إليك يا سعد الله ونّوس..

(يدخل حسين، يلبس نظّارةً سوداء، ويرتدي بدلةً عصرية، تبدو ملامحه صارمة، يتشاغل بكتابٍ يقرؤه، يختلس النظرات إليهما)

سعد الله أجدُ أن شعوراً بالإجلال للخليفةِ يتنامى في قلبي بعد أن لبّى طلبك بالعودة إليّ أيتها العزيزة، ولكنني مرتابٌ بعض الشيء فلم تكن عادة الـ..

تودّد (**تهمسُ له مقاطعة بتعمُّد**) انظر إلى هذا المتشاغل بقراءة كتابٍ.. لاحقني كظلّي منذ أن خرجتُ من بلاط الخليفة هارون الرّشيد! هل تعرفه؟!

سعد الله (**بغرابة، ودهشة**) أعرفه جيّداً، التقيتُ به عدّة مرّات، يتخفّى كل مرّة تحت اسمٍ مستعار؛ مرة باسم حسين، وأخرى باسم حسن، وثالثةٍ باسم حسّون، على كلّ حال.

حسين (**يدفع بنفسه نحوها**) كأنا التقينا قبل هذه المرّة، أووه تذكّرت كنتَ تبيع الدّبس، أجل تذكرتك الآن.كان اسمك خضُّور..؟ أليس كذلك؟ يالك من مسكين " يطرد ذبابة عنه " ما زال الذباب يلاحقك!

سعد الله كان اسمي حمُّور لا خضور، ثم إنني كنت أبيع الفجلَ في سوق المنحوسين، أو النحاسين أعزّك الله.

حسين (**يعقد تقطيبة بين عينيه اللتين تزيدان ضيقاً مشككاً في كلام سعد الله**)

سعد الله (**محاولاً استقطاب انتباهه لموضوع آخر**) الطّقسُ في هذه الأيام يميلُ إلى الاعتدال، بالتأكيد لا يفوتكم استشعار ذلك التغيُّر.

حسين أتساءل إن كنتما ستستمرّان أنت وجاريتك في مزاجكما التّهكمي غير المرحّب به!!

سعد الله (**يغير مسار الموضوع**) كنّا في الزمنِ الذي نسافرُ فيه على ظهور الجمالِ نتّقي حرارة الشمسِ، فننتقي وقت ما بعد الظهيرةِ لأيةِ رحلة بريّة..

تودّد (**تخاطب حسين**) ما الذي تريده مني أيها الظّل اللصيق؟

سعد الله (**يصبح كلامه أشبه بخلفيةٍ صوتية**) كانت الجمال تسير الهوينى فوق رمالٍ لا يبارحها اللّهيب أبداً.

حسين إتمام بعض الإجراءات الخاصّة بإطلاق سراحك من قبيل التوقيع على تعهّد إنهاء علاقة

(تسلّط بقعة ضوءٍ تجمع حسين وتودّد، ويخرج منها سعد الله ونّوس يتلاشى صوته في الظلمة)

سعد الله (**يتلاشى الصوت تدريجياً**) وحين غشانا زمن التّقلصات الموجعة، والإرهاق العصبي المضني بدأنا نفقدُ معنى الوجودية، اختلط الحابل بالنابل فينا، لم نعد نميِّز بين الأشياء..

تودّد أرجوك، لم يعد يتحمّل أية مضايقات، قل ما الذي تريده وانسحب.

حسين الأمر ليس بالسهولة التي تتراءى لك أيتها الفاتنة. تعلمين جيداً مزاجه التّهكمي منذ الحفلة التي أقامها في الخامس من حزيران.. تغيّر الأمر من يومها.

تودّد على من تغيّر..؟ عليك، عليّ أنا.. كل شيءٍ سار في سكونه وعاديته، كل شيء يسير بليداً، لقد قدّم الرّجل في حفلته كؤوساً مليئةً بالماءِ الساخن، كان يحسبُ أن الأمعاء ستنتفض حالما يلامس جدرانها الماء الساخن، لكن السائل مرّ مرور الكرامِ على مأدبة اللئام، ولم يثر الانفعالات التي ارتجاها..

حسين **(ضحكة تهكمية)** أراد أن ينبري فارساً، ولكن السائل الذي سقاه الآخرين إنما ملأ جسده وحده بالدمامل والتّقرحات، انظريه الآن يتفسخ، ينسحبُ من المسرح وهو محمّل بالقلق السرمدي.

تودّد عليك أن تغادر فوراً.

حسين دعيني أهمس لك بشيء قبل أن أنزرق. إن الخليفة هارون الرّشيد قد أبلغني أنه يريدك محظيّة في قصره، وأنه لام نفسه للتفريط فيك بتلبيته طلبك الرجوع إلى سيّدك..

تودُد انتهى الأمر بالنسبة إلي!

حسين **(بأسلوب تهكمي خبيث)** فكّر الخليفة في أن يتسّلى بمجادلاتك حين يسخطُ على إنسان بدل أن يفكّر في تسليمه إلى مسرور، فكّري في الأمر، لا تندفعي، فكري جيداً بأي جواب سترديّن، فحتفك تحت لسانك يقبع أيتها الجارية العظيمة **(يخرج، يدخل مارسيل من الباب نفسه، وقد تزيّا برداء قديم، وأصبح اسمه جابر يعزف العود داخلاً، تشاركه تودد الغناء، وقد سرّت لدخوله، تصفق بنعومة، يدخل سعد الله ونّوس، وهو يرتدي ثوباً فضفاضاً، زاهياً، ويشبك الأزرار، ثم يبدأ الرّقص على أنغام العود والغناء، فجأة يصدر صوت انغلاق باب حديدي يشبه أبواب السجن، يخلع سعد الله رداءه، وتسقط إضاءة قضبان على خلفية المسرح، يصبح سعد الله ونّوس وراءها، يصبحُ جابر سجّاناً)**

زينب ما الذي فعله سيدي حتى يرمى وراء القضبان؟ إنه يتداعى، لم يعد يقوى على الوقوف وراء القضبان.

جابر **(يفكر في إجابة مُثلى)** ما الذي فعلهُ هاه؟ ما الذي فعله..؟ الذي فعله كبير، كبير أيتها الجارية تودّد..لنقُل إنّه يتوهّم، أو يوغلُ في الانبساط، أو لنقل إنه يمارسُ التّنكر.

زينب ما بالك تتلكع في الكلام أيها المملوك جابر، ها أنت الآن قد حزتَ على مرتبةٍ عليا بعد أن تغافل الأمير الذي سعيت إليه عن الشرط الأخير بقطع عنقك.. أنت الآن في وضعيةٍ يحسدك عليها الأسياد..

جابر لم تسر اللعبة كما رسمها صاحبك، قمتُ بتحوير بعض المنعطفات المهمة فيها. لقد قام الأمير بمخالفةِ الأمر الذي أراده الوزير للتخلص مني حفظاً للسر، لكن الأمير الذكي لعب على الأوتار، فدخلنا بغداد غازين، وكنتُ أنا في مقدمةِ الرّكب، لقد ظن الوزير أن الأمير قد جاءه ناصراً، لكنه حين علم أنني في مقدمة جيشه الجرّار، هرع من قصره ليلاً فسقط في جحرٍ ضيّق..مصالح أيتها الجارية! من يدفعُ أكثر، يجني أفضل، بالضبط هذا ما يحدث في أسواق النخاسين؛ أسواقكن.

سعد الله لا أريد أن ألقى كالجيفة النتنة بين الجدران، فلأحظى بمحاكمة، لا يهمني كيف هو شكلها، ولا يهم ما ستؤدي إليه!

زينب لا يمكنُ أن يبقى وراء القضبان، وهو يتوق إلى الماء البارد متسلسلاً في عروقه..

جابر حسناً، تريدُ محاكمة..

(يتغير وضعُ الأشياء، يسلّط الضوء على طاولةٍ يقفُ وراءها مارسيل الذي سيتقمص دوراً آخر هو أبو عزّة - وردت هذه الشخصية في مسرحية (الملك هو الملك) - وقد تزيّا برداءٍ مهيب، ووضع على رأسه عمامةً في مقدمتها جوهرة.. وعلى رأسه يقف حسين الذي يصبحُ السيّاف مسرور وهو يمتشقُ سيفه).

أبو عزّة نريدُ لهذه المحاكمة يا مسرور أن تكونَ شفّافةً، ونزيهةً، وعادلةً؛ حتى نبرهنَ أننا دون سوانا الذي كان من قبلنا نتمتعُ بالفطنةِ، والحنكةِ، والتدبير..

مسرور أرى يا مولاي أبو عزّة أن تكون المحاكمةُ عكسَ ذلك..

أبو عزّة **(بتبجح)** ما الذي تقصدهُ يا مسرور؟! أبِنْ، وأوضح، وفسر.

مسرور أرى أن تكونَ مغلقةً، وسريّةً، وصارمةً، حتى يُعلم بأننا ودون سوانا الذي كان من قبلنا نتمتعُ بالغموض، والإبهام.. فلا نكاشفُ الخلقَ بنِيَّاتنا، ولا نصارحهم بأهدافنا..فيخسأ الخاسئون منهم، ويصمت المولولون!

أبو عزّة ليكنْ ذلك أيها السيّاف الحكيم..فما دامت هذه البلطة في يدك فلن تصلح لها العلنية والشفافية!

(يدخل سعد الله ونوس في ملابس السجن)

أبو عزّة **(بصوت مرتفع، متعال)** أردتَ أيها الرّجل..

مسرور (**هامساً له**) سعد الله ونّوس..

أبو عزة لا يهم. أردتَ أيها الرّجل أن تولول خلف جنازةٍ، وأنت تعلمُ أن الولولة والعواء والطنين خلف الجنازةِ غير مقبول.. تعلمُ ذلك بالتأكيد..ومع هذا، أقول ومع هذا أردت أن تفتحَ فمك، وأنت تعلمُ يقيناً وبلا شك أن الفم المفتوح يدخله الذباب..

مسرور (**بتفاخرٍ، وكبرياء**) اسألني أنا فكم أغلقتُ من فمٍ!!

سعد الله لكن حناجر المرتزقة تلعلع على جوانب الجنازة، دون أن يلجمها أحد..

مسرور والله سؤال غير واقعي، كيف تلجَم وقد دفع لها من أجلِ أن تلعلع؟!

سعد الله هل تتذكر أنك قد حلمتَ ذات يومٍ أن تصحو وأنت على سدّة القرار، وكان لك ما أردت.

أبو عزّة ما أردت!! حلوةٌ هذه ما أردت. غابت عنك أيها الرّجل أشياء لا تكشفها الكلمات، لهذا فقد نذرتَ أن تجرّ قلمك كي تحقق حلمي أن أعتلي الكرسي ليومٍ واحد، ولولا فطنتي ودهائي ونباهتي لكنتُ في ذلكً الجحر المتهالك الذي يدعى بيتاً، لكنني وثّقتُ المراسيم، واستبدلتُ بنود الدساتير بأخرى مبهمةٍ، غير مفهومةٍ، وعرضتها لسواد الناسِ فظنّوا أنها طوق النجاةِ، وفصلُ القضية، فهتفوا محيين بالمبادرة الشجاعة..

سعد الله لم تكن مبادرةً بتاتاً بل كانت جنازة، يمضون وراءها صامتين، ملجمي الأفواه.

أبو عزّة **(موافقاً بتردد)** حسناً، لنقل إنها جنازة، لكن المشيّعين وراءها كانوا يمضونَ في مواكبِ رضاً واستسلام..

سعد الله تلك كانت قضاياهم المصيرية، يشيعونها على أكتافهم إلى الجبّانة..وسط أزيز الطائرات، ودويِّ المدافع المهيب، ورجع الخطبِ، وجلجلة الزغاريد، لكم كنت أحوقلُ كلّما أردت أن أقذف (اللاء) من حلقومي، كان حلقومي يغصُّ بالنّعم، وحين أتكلُّف كي أقول لا، كانت تتحول تلقائياً إلى نعم!، أحسستُ بالقمع، وتقلصات المعدة..

أبو عزّة **(مقاطعاً)** كلُّ ذلك لا يهم. المهم أن الجنازةَ تمضي بلا عراقيل..

سعد الله ليتها مضت في مواكب الصمت المهيب..

أبو عزّة أين أحلامُ أبو عزّة المعوز البسيط؟

مسرور القناع كفيلٌ بسحقِ القناعات القديمة ودفنها..

أبو عزّة مسرور. لم نعد بحاجةٍ إلى ثرثرةٍ غير مرغوبة، ثمّة تابوت فارغ في ركب الجنازة..!

مسرور **(يرفع بلطته، يسمع صوتُ موج هادر، وإظلام كاسح، وصوت سعد الله ونوس يتردد)**

سعد الله في التابوت وطن وقضية، في التابوت أمنيات عمرٍ لا تموت..

(تركز بقعة ضوء على حسين الذي يتنكر في دور مارسيل، وتودّد تقف على رأسه وهما يرددان في سهوم وسرحان، بينما يضرب خضور على العود)

الاثنان (**يغنيان**) في التابوت أمانٍ كبرى.. تمضي نحو الصمتِ الأكبر شيّعناها بتمادينا.. ودفناها بأيادينا.

(يسلخ حسين القناع عن وجهه، فيتحدث بصوت غليظ أجش، بعد أن يلقي بالعود جانباً)

حسين (**يروِّعها الصوت**) لقد نفد صبرُ تيمورلنك وهو ينتظرك أيتها الجارية تودّد، دون أن تجيبيه إلى شيء، قلبكِ أو لحمك!

تودد (**مروّعة**)كيف تأتّى لك أن تتنكر في دور خضّور؟

حسين كما يتنكّر الآخرون يا بنت الناس! ألا تمارسين أنت التنكر في يومياتك..؟

تودّد لن أُجيبه إلى حقارته، فليحاصر المدينة كما شاء..

تفتح الإضاءة على صوت الأمير أزدار (الذي يؤديه مارسيل)، وابن خلدون (الذي يؤديه سعد الله ونوس)، في حين تصعد تودد على دولاب يدور في أثناء الحوار)

أزدار وتعرّضين المدينة بأسرها إلى الهلاك والدمار يا ريحانة (**اسم تودد الجديد**)؟!

ريحانة أبي..! أيها الأمير أزدار، أأنت الذي تقول هذا؟ أأنا واعيةٌ أم أني لا أستبينُ معنى الألفاظ؟

أزدار بل أؤكد على ما سمعت يا ريحانة، لقد مرت أشهر طويلة، وتيمورلنك يحاصر مدينتنا طالباً يدك أو لحمك، وقد نفدت أكاذيبنا وحججنا لدرئه عنّا دون جدوى[1]، ادّعينا أنك قد خطبت لابن عم طواه التغرُّب في فلوات الزمان المجرثم، كي يجمع المهر ثم يباغتك بالبشارة، لكنه لم يعد.. فظللت تهسّين إلى أن أتاك وباءٌ فتك..

ابن خلدون هو السرطان حسب ظني!

أزدار فأقمنا لك مأتماً ذائع الصيتِ، ولحداً جليل المحيّا، ولكن جثّتك بالمساء اختفت!!

ابن خلدون لكنه أخبر منا بما قد توارى في صدورنا جميعاً، فالمدبر هو، هو السقف والأنف، يحفظ عن ظهر قلبٍ مواليد بيوتنا وعنوان زوارنا، وأسماء جيراننا ويملك قائمةً بالذي تحتويه الغرف..

حسين سجاجيدكم والثياب التي بالأجل.

ابن خلدون بقول الموائد.

حسين زيت المعونات.

ابن خلدون ملح الطعام المشع.

حسين سعر الدقيق المكلّف.

---

(١) ما يلي هو استلهامٌ من قصيدة (زينب) للشاعر المصري محمد أبو دومه، حتى يلبس أزدار قناع تيمورلنك، مع التصرف في بعض المقاطع.

أزدار وهو مع ذلك بأي صنوف التعامل يدفع!

ابن خلدون ويضمن للأهل والبيت أن الجميع سيشبع!

(يتوقف الدولاب عن الحركة، يهبط ستار مرئي شفاف يحول بينها وبين الثلاثة، يصبح هؤلاء خلفه..)

تودد **(بسهوم)** ما الذي تتوقعونه من امرأة شاء حظها أن تولد في الخامس من حزيرانَ.. امرأة لا ينقصها الغنجُ ولا الجمال، كمهرةٍ عربيةٍ، يتسابقُ إليها ملّاك الإسطبلاتِ، وأساطينِ سباقات الخيل.. ولا يهمُّ الأمرُ حتى إن كان من هؤلاء من ينتمي إلى بني جلدتنا، أصحاب المراهنات، أولئك المفاخرون بسلالة الخيل العربية، حين يطفقون عليها مسحاً بالأعناق في البلاد الأجنبيّة.. عشقتْ الحريّة، وتمنّت أن ترتع في السهوب والبراري طليقةً دون قيد، أحسّت بنداوة الحياةِ تداعبُ خدودها، ونسائمها تتخلل بين مسامات جلدها.. غير أن الانكفاءة المريرة التي حدثت في يوم ميلادها، لم تفتأ تعكّر عليها صفو حياتها كلّما آن موعد عيد ميلادها.. لم تستطع البتّة أن تحتفل بمولدها كما تفعل الأخريات من الصديقات، كم تشتاق لإطفاء الشموعِ في ليلةٍ باردة، تتقاسم فيها معهن طزاجةِ العصائر الدافئةَ، والبسماتِ الطريّة، والأحلام الصغيرة.. **(تدسّ رأسها بين كفّيها)** إلى من أنحي باللائمة.. إلى أبي، أمي التي ماتت على الفراش لحظة ولادتي، أم أصبُّ نقمتي على البشر الذين يهدرونَ، وكأنما هم أجسادٌ

مخدّرة تسير بلا وعي أو تركيز إلى غايات مرسومة ثم يلقون بأجسادهم آخر النهار في الجحور المظلمة..

(يلبس حسين قناعاً يجسد تيمورلنك بقرنين بارزين، يرتفع الستار)

تيمورلنك تركتموني واقفاً طوال أشهر من أجل جارية..

أزدار هي لك يا مولانا خالصة.. لقد كنّا نزيّنها لك كي تكون في أبهى منظرٍ، وأزهى حلّة، حتى إننا قطعنا لسانها كي لا تقول "لا" في حياتها، ولا تناكفك بالحجّة حين تبني عليها.. **(يسقطُ لحافان أحمران على تيمورلنك، وآخر على تودد بصورة مستقلة، ويبدو أن كل واحد منهما يدخل في صراع شرس في رمزية تشير إلى البناء الذي يبدو كحالة اغتصاب)**

ابن خلدون **(مسوِّغاً)**[1] بمن كنت ستتقي ورطتك؟ تصرخ، تحتجُّ بالعم، بالخال، رؤوس العشيرة، لوم الفروع، رواة المثالب.. حيلةٌ فقدت طعمها. أنت تعلمُ أن الجميعَ إليه سعوا، خلسةً، خلسةً سايروه.. خلسةً، خلسةً ساروره، جالسهم كلّهم، وآخرهم أنت!

(صوت ثغاء نعجة، يرتفع اللحافان إلى أعلى، يخرجُ من تحت لحافِ تيمورلنك الذي أصبح الآن مراد المتقمص لدور الابن من تيمورلنك، فيتجه إلى أمه)

(١) الحوار استلهام من القصيدة المذكورة، والحوار الذي يليه لحسين مع التصرف فيهما.

مراد **(يلوذ إلى أمّه التي تتقمص دورها تودد، تواجهه بنظرةٍ حاقدة)** أمي، أرجوك، سينفجر رأسي، أُحسُّ بأن كياني ليس كباقي البشر، هل أنا شيطانٌ يا أمّي..

الأم ليس لديّ شك في ذلك، من يولدُ في صخب الشفق، لا يهمّني أمره مطلقاً.. أنت لا تنتمي إليّ، اذهب واشك همّك إلى البحر، واغسل قلبك بمائه المالح!

مراد أَوَتقدرين على قول ذلك، وكأني لستُ قطعةً من حشاك..

الأم بل لا يقف الأمر لدي عند هذا الحد، فأنا أمقتك وأودّ لو أتحول إلى لبؤة متوحشة تنقضُّ عليك فتنهش جسدك، حتى تسحق عظامك أيها اللّقيطُ المشوّه..

مراد ابنكُ أيتها الجارية تودّد..

الأم ابن الخديعة، والخيانة، لم يكن ميلادك إلا في ليلةٍ كالحة..

مراد **(يتغير صوت إلى أجش)** إذن سأفقأ عينيك - أيتها النكرة - بأصابعي، وسأذهبُ وراء أبي، لكن بعد أن أُقطّع أوصال أبناء مدينتك، وأُهْلِك الحرث والنسل فيها..

الأم الموتُ وطن.. لقد استلبتُ قبل أن تستلب.. **(أضواءٌ حمراء تعمُّ المسرح، ثم ظلمة حالكة)**

(تبرزُ لوحةٌ بها شعاراتٌ وأقنعةٌ هي عبارة عن صندوق لمسرح العرائس، ولوحةٌ وراءها تجسّد جوقة تماثيل، وهي عبارة عن وجوه متخشبة مرسومة بشكل تخطيطي، المشهد في مقهى، يبرز سعد الله

ونّوس من وراء مسرح العرائس، أما بقية الممثلين الثلاثة فيتفرجون في مقاعد المقهى).

سعد الله أُقسم لكم بأن المشهدَ سيكون رائعاً..

حسين بالتأكيد..

تودد أتحرّق شوقاً إليه.

سعد الله **(يمسك دفاً به شلاشل، يضربُ عليه بغرض الإعلان)** اليوم يا سادة يا كرام، ليس ككل يوم سيكون لمسرح عرائسنا مشهدٌ جديد من مشاهد السِّيَر والأخبار..

تودد نريدُ سيرة أبو زيد الهلالي ولا غيرها.

حسين بل الزير سالم ولا غيرها.

مارسيل بل، بل سيرة الملك سيف بن ذي يزن..

سعد الله أمّا اليوم فسيرة قاهر الفرسانِ البواسل، عنترة بن شداد.

الثلاثة (تصفيق)

(يقوم سعد الله ونوس بوضع العرائس في يديه.. إحداها لعبلة، والثانية لعنترة، يقلد الأصوات بطريقة كاريكاتورية)

عبلة **يا لك من بطلٍ مغوارٍ، يا عنترة، أطحت برؤوس أشجع الفرسان..**

عنتر **كي يعلموا أن حي بني عبس عصيٌّ على ضعاف النفوس، وأن عبلةَ هي حلمٌ عسير المنال لأي مدّع مغرور.**

عبلة أخبرني يا عنتر كيف فعلت بهم..

عنتر (ينشد، ويقابله الثلاثة بالحماس)

يخبرك من حضر الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلمِ

جادت يداي له بعاجلِ طعنةٍ بمثقفٍ صدق الكعوب، مقوّم

فشككتُ بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم

(يظهر عمه زبيبة، وهو غاضب)

زبيبة يا لك من أسودٍ متبجّح، تجندل رقاب أعتى الفرسان في ساحات الوغى، لكنك لست أمامي سوى حرفوش صغير، ليست له رقبة فترفع رأسه نحوي، من أنت حتى تحظى بابنتي عبلة!؟

مارسيل (محتجاً) ردّ عليه يا عنتر، ردّ عليه بمثل ما تردّ على ضربة سيف عدوك.

عنتر (بذلة، ومهابة، وخنوع) أنا يا سيدي، ومولاي، وولي أمري خادمكم، أنا لستُ إلّا فرداً ضعيفاً يستظلُّ بأذيالِ ثوبك يا عميّ، وسيد نعمتي.. **(يجهش بالبكاء كالأطفال)** ارحمني أرجوك..

زبيبة لا أريدك أن تفاتحني في أمر زواجك من عبلة، فهمت؟

عنتر فهمت يا عمي فهمت..

زبيبة عليك الآن أن تسهر على تلة من التلال تحرس فيها الحيّ، ولا تسرح مع القمر المتألّق فما أنت سوى عبد يرعى النوق..

عنتر أمرك يا مولاي.. وسيد نعمتي، وحاكم رأيي.

عبلة (**تهمس**) يا ويح قلبي على الفارس المنتظر.

(يغلق ستار مسرح العرائس)

تودد مؤسفٌ والله.

حسين ما الذي حدا بك كي تستاء إلى هذه الدرجة..

مارسيل مستاء!! بل أنا مجروح الفؤاد، ممزق الأوصال. أهذا شكل فارسنا الذي نتباهى به؟، منذ تلك القرون الغائرة، والصورة مكرورة، لا تغيير، ولو بعض الرتوش، هل يعقل يا جماعة.. كان عليه أن يعترض، أن يواجه عمّه، أن ينتصر لقضيته، ألَّا يبدو مهزوزاً، مستسلماً، ذليلاً، خانعاً..

سعد الله حسناً.. دعك من هذا كلّه، لديّ شيء يمتعك، وينسيك ما كان من أمر عنترة..

تودد جميل..

سعد الله وهذه المرة نحن من سيمارس لعبةَ التّنكرِ هذه، وعلى كل منّا أن يختلق لنفسه دوراً يليقُ به.. علينا أن نعبّر بصدق

عما يعتمل في صدورنا بكل حريّة..هل تعلمون أنني لم أستطع أن أكون حرّاً إلا من وراء قناع؟!! **(ضحك)** حسناً ليس لدينا من وقتٍ نضيِّعه..

تودّد **(متحمسة)** لم لا.. أنا سأنتحلُ شخصية الملك..

حسين **(محتجاً)** كلامٌ فارغ!

مارسيل **(محتجاً هو الآخر)** لا لا. أنت امرأة لا يصح أن تنتحلي شخصية ملك..

سعد الله أنسيتم أنها لعبة.. وأنه مسرح عرائس؟

تودد حسناً سأكون ملكة..

حسين لا يصح.. خاب قومٌ ولّوا أمرهم امرأة..

مارسيل أنا الملكُ وأنت جاريتي ما رأيك؟

تودّد جارية.. جارية!! أليس في خيالكم سوى هذا الدور.

حسين **(بشراهة)** يؤنسنا هذا الدور، يكفي حين تتلونين كالحرباء حينما تختلج الألحان، ويفيضُ كأس الطرب..

سعد الله أرجوكم لنبتعد عن المماطلات الفارغة، أنت ستقومين بدور النادلة خضُّوره.

مارسيل خربت الدار..!

تودد **(بدلال)** ولو!!

سعد الله وأنت يا مارسيل ستقوم بدور المعتوه، أمّا هذا فدور خضُّور.

حسين أحبّ هذا الدور، سمعت عنه كثيراً، أريد أن أنتصر له، فأنا في العادة أتقمص نقيضه هل تصدّق أنني..!

سعد الله **(مقاطعاً)** أما أنا فدور..

مارسيل الوزير..!

سعد الله لا. سأنتحلُ دور ذبابة!!

الجميع ذبابة!!

سعد الله أجل ذبابة.. ولو تعلمون أيها الأصدقاء ما تملكه الذبابة من مواهب وقدرات لتراجعتم عن عقد أي رهان للقيام بدورها.. اطرحوا الجدل جانباً، وليتهيأ الجميع كي نبدأ لعبة التّنكر..

(موسيقىٰ، يلبس في أثنائها كل واحد قناعه، تهبط خيوط وتظلُّ معلقة تتحرك في علامة على حركة العرائس، يجلس المعتوه على طاولة، والسيّاف على طاولةٍ أخرى، أما الذبابة فتقوم بنوبات خاطفة على الطاولات..)

سعد الله ابدئي أنت أيتها النادلة خضّورة..

خضورة **(وهي تغني أغنية ميادة الحنّاوي، لكنها لا تزيد عن المقدمة المكتوبة هنا)** كان يا ما كان.. كان يا مكان.. شرفت ونورت المقهى أيّها السيّد الرّشيق القوام، والبطل الهمام..

المعتوه شاي يا حلوة..

خضورة اجلس وتفرج.. يا مغفّل..

الموظف لقد أعددتُ البارحة قصيدةً عصماءَ لك..ولقنتها الجوقة هذا الصباح.. **(يرفع يده كإشارة للجوقة كي تبدأ الإنشاد، يردد هو معها باسماً)**

الجوقة الخشبية

يـا شـعـرهـا الـفـاحـم.. وفـتنةُ الـقـــوامْ
قـولا لـنـا مـتـــى .. سيصـمـتُ الـكـلامْ
ونـلـتـقـي بهـــا..في دجـنـةِ الـظـلامْ
مـتى سـنـحـتـسي .. بـوصـلـهـا الـغـرامْ

(تأخذ الجوقة منحىً آخر في الإنشاد، يذعرُ له خضُّور، فينتفض من مكانه مرعوباً)

الجوقة الخشبية

مـتى نـقـول لا.. في وجـه مـن نـريـدْ
وأمـرِ مـن يـرى.. كـرسيّه الـوحـيـدْ
نـعـيـشُ كـيـفـمـا.. يحـلـو بـنـا صـعـيـدْ

(يقوم خضّور بإسكات الجوقة بمكشة الذباب)

المعتوه **(يضحك بغباء)** كاد يجنّ خضور..ما الفرقُ إذن بينك وعنترة، يا عيب الشوم!! هل تغيرت الصورة يا.. يا فارس الفرسان.. **(بسخرية)** ذبابة!! **(يضحك)**

خضور (**يتلفت يمنةً ويسرة**) والله لم أقل العبارات الأخيرة ذات الإيقاع والترجيع الغريب، والله لم أكتبه، ولم يدر في خلدي...

خضورة معقوله..!

المعتوه أنت مخادع.. تدسُّ الكلمات بعضها في بعض، كالعصير الحلو الحامض، يا عيني عليك.

خضور أقسم بالله أنني لم أقل ولم أكتب ولم أسمع أي شيء من هذا القبيل من قبل. أف. الحمد لله أنهم سكتوا أخيراً.. كادت روحي تخرج من بين أظافري! ماء يا خضورة.

الذبابة لكنني أحتجُّ..

خضور (**يمسح جبينه المعرق بمنديل، وهو يلهث**) احتجي وارتجي أنت الأخرى من يأبهُ لذبابة؟

الذبابة من يأبهُ لذبابة..؟! طيّب، سأريك من ينبته لي، انظر (**تأكل من الحساء، يضربها بالمكشة**) أرأيت، أنت انتبهت لي، أولاً!

خضور وثانياً.

الذبابة وثانياً حفظتُ الأسطوانةَ التي دارت منذ قليلٍ على لسان الجوقة وسأُغنّيها حيثما أريد، عند من أختار، وفي الوقت الذي أراه مناسباً، و..

خضور (**يقفزُ من مكانه**).. الستر، الله يخليك.. الله يعلّي مراتبك (**ضحك**)

المعتوه يعلي مراتبها من ماذا إلى ماذا؟!! من ذبابةٍ إلى فيل (**ضحك**)

خضورة بل من ذبابةٍ عادية إلى مديرة في دائرةِ الذباب! (**ضحك**)

الذبابة لا أريدُ أكثر من ذبابة.. أرأيتم القشعريرة التي استبدت بجسده!

خضور أرجوكم، أرجوكم..لنتوقف عن التّنكر (**يخلع القناع**) بدني مقشعرٌّ (**ضحك**) ها أنا الآن عدتُ إلى طبيعتي، بشريتي المتواضعة، كلامي المسالم، خطواتي المنزوية التي تطأ الأرض بحوافها كي لا تطأ جرذاً مترصّداً..

الجوقة الخشبية (يشاركها الممثلون الثلاثة، في حين تتنامى لدى خضور تقلصات المعدة)

ذبابةٌ طيّاره.. هزّت له وقاره

في لحظة بدت له.. كأنها مناره

من يومها بدت له الدنيا كأنها مغاره

خضّور **(يرتجف وهو يتخذ وضع الجنين في البطن)**

أحس بالبرد الشديد يجتاحني، شعور ساحقٌ بالعري التام يفضح حميميتي، لم أكن محتاجاً إلى أمي أكثر من هذا اليوم..أخاف أن أتحوّل إلى جثّة على الرصيفِ معرّضة للمساومة!

سعد الله (**يخلع قناعه**) أووه.. كنا نلعب لعبةً تنكريّة، ربما نسينا أنفسنا قليلاً فأخذنا الجدّ بعض الشيء، لكنها على كل حال لعبة كأية لعبة أخرى يلعبها البشر..

تودّد ما رأيكم أن نرتّب له دوراً غير خضُّور، مثلاً دور ابن ظاظة صاحب المقهى الزجاجي مثلاً ليكن برهوم.. وأنا في دور نرجس.. أما أنت يا حسين..

سعد الله أما أنا ففي دور البرغوث..

مارسيل مرةً أخرى!!

سعد الله أحبُّ الحشرات كثيراً، أُحسُّ أنها على ضآلتها صافية السريرة، رقيقة الإحساس. الحشراتُ يا صديقي لا تحملُ الكراهيةَ بالقدر الذي يحملهُ البشر بين جوانحهم.

تودّد حسناً، لنبدأ لعبتنا من معرفتنا بأن المقهى الزجاجي الذي كان يملكهُ ظاظة قد كسّره ابنه، الذي هو أنت الآن، وأصحابك، حين لم يلتفت ظاظة إلى تغيّر الزّمن، وظل على تحجّره. سندعوك برهوم.. وتعملُ مديراً في إحدى المصالح الحكومية..

برهوم (**يفركُ يديه حماساً**) نريدُ أن نبدأ على وجه السرعة، أين مكتبي..

سعد الله علينا أن نغيّر الأقنعة.. (**يلبس كل واحد قناعاً مختلفاً عن السابق، ويتجه برهوم إلى مكتبه، يبدأ في الكتابة**)

نرجس (**محتجّة، تخاطب برهوم دون أن ينظر إليها**) أنت تعلمُ

أنني كنت معك نلقي الحجر على مقهى والدك الزُّجاجي، وكان والدك البليد يطارد البراغيث، ولم أكن أمانعُ أن ألقي بالحجر على رأس والدك كي ينتبه على وجودنا.. وأخيراً حين انهار المقهى على والدك ومن فيه.. وأصبحتَ أنت الآن الآمر والناهي في هذه المصلحة..

برهوم **(يرفع رأسه حانقاً ليخاطب البرغوث، يظهر عليه الحول، صوته مزدوج بين صوتين شابٍّ ورجلٍ في الخمسينيات)**

قلت لك مراراً وتكراراً أيها البرغوث بأنني لستُ أبي.. وأبي ليس أنا.. أنا شيء آخر، فإن كان والدي يصطادك في المحاولة السابعة فأنا أصيدك في المحاولة الأولى..

البرغوث أُشفق عليك. تصوّر بأنه لا فرق بينكما. لم يتغيّر شي سوى الأسماء.

نرجس دعني أسألك. كيف أوصيت على ترقية حسن وهو **(تمسك رأسها)** يا ربي، ما الذي يمكنني أن أعدده أو أقوله عنه.. موظّف فاسد، مستهتر، هذا أقل شيء يمكن وصفه به حالياً. الصدمة أفقدتني الكثير مما تراكم لدي عن هذا الرّجل.. كيف أمكنك أن ترقّيه إلى رئاسة القسم وأنت تعلم عيوبه أكثر مما أعلم.. أتذكر حين..

برهوم **(يرش المبيد في وجه نرجس، ويخاطب البرغوث)** شتّان بيني وبين أبي.. أبي لم يكن يفقه معنى قيمة الوقت، معنى النظرات التي كنت أرشقها به، رشقي لمقهاه الزجاجي بالحجارة.. عاش بليداً، ومات بليداً..

البرغوث مازلتُ أجدُ ما يلفت نظري في الأشياء من حولك.. ابتداءً من الرغوة التي تزبد على أطراف فمك.. إلى سروالك المتهدّل..وأزرار قميصك المفككة!

نرجس **(يبدأ الدخان بالانتشار مع بداية حديثها)** أتذكرُ حين ضبطناه يحرّ شيكات بتواقيع مزيّفة، حينها رفعنا الأمر إلى المدير السابق ولم يحرّك ساكناً **(تغصُّ بالدخان، تنحب، تواصل الكلام بصعوبة، وهي تنتحب بين الحين والآخر)** حينها أقسمت لئن صرت مكانه لتقصنَّ جوارحه جارحة، جارحة..حتى تلقي بأشلائه خارج المصلحة في أية نفاية قريبة.. فما الذي حدث؟ **(الدخان والنحيب يملآن المكان).**

(لوحة مربعات زجاجية، تمثل جداراً يفصل تودّد من الداخل عن سعد الله ونّوس من الخارج، تطلُّ تودّد من الداخل عبر نافذة زجاجية صغيرة، يسود الجوّ رومانسيةٌ حالمة).

سعد الله وكنتُ أمضغُ حبّك كخليةِ الشهدِ التي لا ينفد سكرها الرائع..

تودّد أووه، سعد الله، ألا تعتقد أنك تبالغ..

سعد الله وأقسمُ أنني لم أر في حياتي عينين تشبهان ألماستين يخلبان الروح كعينيك.. ولا خدوداً كخدودك تشبه طراوة الورد وهو يتفتحُ في الصباحات الربيعية الندية..

تودّد أووه، هل فتنتي ساحرة إلى حدّ الغواية!؟

سعد الله ليتها تقف عند حدود الغواية بل هي الخطيئة الكبرى يا سوسن..

(تفتح الباب الضيّق فيدخل سعد الله، ترى ظلالهما، ويسمع حديثهما بصوت مزدوج)

الصوت المزدوج انفثأت الكلمات، وفقدت طراوتها منذ الملامسة الأولى، امتلأ الفم العسلي بالدمامل، انتفخ بالأورام السرطانية، فأصبح قذراً.. انتهى كل شيء حين انقشعت غمامة كانت مكتنزة، سكبت مياهها في الأرض العطشى ومضت إلى حيث تمتلئ فتروي أرضاً أخرى تتوق إلى المطر الذي يبعث الخصوبة في بطنها.. **(يخرجان من جانبي الجدار)**

سعد الله **(يتحدث ولكن بصوت مزدوج تشاركه فيه تودد)** بدأ الشكُّ يتسلل إلى قلبي، ويكبر الإحساس بالخيانة، وبعد عامٍ واحد، حسمتُ أمري على أن أقوم من جانبي بما يعيدُ اعتباري..

تودّد **(في صوت مزدوج مع سعد الله ونوس)** أيُّ استلابٍ يمارسهُ أحدنا على الآخر، لم أكن على دراية أننا نملك بين جوانحنا عوامل سحقنا واحتقارنا أشد ما قد يكون عند الآخر..

(يدخل مارسيل، يبدأ صوته مفرداً ثم يتحول يمتزج مع صوت الاثنين)

مارسيل كم تقنا للّيالي المقمرة، حيث كنا نسمرُ على الحكاية والاستماع إلى إيقاع العود.. **(يسطع القمر، تطفأ كل إضاءة عداه، يضرب مارسيل الأوتار، يغني أغنية أم كلثوم: هل رأى الحب سكارى، سكارى مثلنا.. كم بنينا من خيالٍ حولنا. ثم يتحول صوته إلى أجش، فتتوحد معه أصوات الاثنين: سعد الله ونوس وتودد).**

مارسيل **(بالصوت الثلاثي)** لكن القمر سقط في هاويةٍ عميقةٍ حين سلّطت عليه أضواء حارقةٌ كانت تنبعثُ من حشد من سيارات ثقيلة، تقطع البراري، عبر المروج الخضراء كي تقيم حفلتها الناريّة الحقودة.. من يومها أصبح اللون القاني يصبغ الأشياء، كل شيء يتقيأ دماً، كل شيء أصبح مشروع مأساة تذيقنا ألوان الزراية البغيضة.. **(تنضمّ إليها أصوات أخرى)** من نحنُ؟ إلى أين نسير..؟ متى ينتهي كل هذا الدوي المفزع ويعودُ القمرُ إلى شرفته.. كي نغنّي **(الغناء بصوت تودد، يرقص مارسيل وسعد الله، لأغنية من أغاني فيروز)**

سعد الله سينتهي كل ذلك حينما يبدأُ الحوار، كم أشعر بالجوع للحوار **(صوت انفجار، يصبغ المسرح بالدخان الأحمر).**

(كل ممثل يرتدي نظّارة، ويحملُ كل واحد منهم حقيبة في حجم حقائب السفر، بشرط أن تعطي دلالة على أنها قطعة جدار.. من جانب ومن الجانب الآخر ستظهر وجه صفحة مكتوبة بلغة أجنبية، ومنظمة بشكل جيّد، سيكون حديث الممثلين في البداية باللغتين الإنجليزية والفرنسية)

تودد we can compromise our ideas by dialog off sure

مارسيل absolutely right Madame

سعد الله الاختلاف لا يفسدُ للود قضيّة

الثلاثة **(بصوت تأكيدي مفخّم)** إيييييي..!

سعد الله ومهما اختلفنا في الفروع فنحن متفقون في الأصول..

الثلاثة **(بشك، وتردد، ولكن بصوت واحد)** إمممم..

مارسيل شكلك مع النظّارة لا يعطي المرء إيحاءً بالأريحية!

تودد تقريباً..

حسين ما الذي تريدونه من شكله؟

سعد الله لم نبدأ حوارنا بعد أيها الفطاحلة.. **(صوت نعجة، يضحك الثلاثة)** هل ستكون بدايةً متعثرةً؟

حسين أنا سأنبري له.

تودد فليكن.

حسين تعودت بالتأكيد على اعتبار كل واحد لا يعرفُ أن يقول لا شخصاً ضعيفاً.

سعد الله نعم..

حسين ومن يتحاشى المصائب والمشاكل وصداع الرأس، شخصاً ليست لديه أية مشاعر أو عواطف استثنائية جامحة..

سعد الله نعم.

تودد (**وهي تضع الحقيبة/ الجدار بينهما**) إذن فأنت تريد أن تدفع كل واحد منا نحو الهلاك..

سعد الله ليس هذا صحيحاً.. الصحيح أني..

مارسيل (**يضع هو الآخر الحقيبة / الجدار مقابل تودد بشكل متوازٍ**) الصحيح أنه يريدُ القولَ إنكم ستكونون هامشيين لا تأثير لكم في أي تغيير..

سعد الله ربما، ولكن لا يجب أن نسردَ الأمر بهذه الفظاظة..

حسين (**يكمل بالحقيبة / الجدار، المضلع الثالث في المربع الفارغ**) واضحٌ أنك تريد إلحاق الإهانة بنا، تتهمنا بأننا نمارس الاستلاب على أنفسنا..

سعد الله دعونا نتحاور بالمنطق..

(**هنا يصبحُ صوت كل واحدٍ مزدوجاً**)

تودد (**بلسان سليطةٍ مزدوجة**) نعم، نعم! نتحاور. بعد أن صوّرت الحمّال جندياً، والجندي حذاءَ أرملة فقيرة..

سعد الله اسمعوني جيداً..

حسين ابحث عن مخرج لمأزقك.. ابحث عن لعبةٍ مسرحية، هاه!

سعد الله (**وهو يكمل المضلع الرابع في المربع الفارغ**) إذن؛ كلكم نكرة لا تساوون شيئاً يذكر.هاه!

مارسيل يجب أن تتوقف ألسنتكم عن كيل الاتهامات له..

تودد الاتهامات! يا له من استخفاف رخيص..

حسين قلبك ينبئ عن الخبث، أنت ضعيف التفكير..

(يتضاعف صوت كل واحد، وتنقلب الأصوات إلى عواء ذئاب متداخل).

صوت الجوقة (يردد) ضعيف التفكير.. **(يرتفع صوت جهاز مراقبة القلب.. يتجمد الثلاثة مارسيل، تودد، حسين.. يتجه سعد الله ونّوس نحو حامل الحقنة السائلة.. يبدو صوت جهاز القلبِ واضحاً وصافياً أكثر من ذي قبل)**

سعد الله **(تتطور الارتعاشة لديه من خفيفة إلى ملاحظةٍ بشكل سافر، خيوطٌ بيضاء تهبط بصورة تدريجية على المسرح، خاصة عليه)** المربّع الفارغُ هو ما نحصده بعد كل حوار.. لا بد أن المربّع ذاته يعاني الوحشة، والعزلة، والفراغ. **(في سرحان عميق، وعينين ساهمتين)** الفراغ، الفراغ، كم نتجنى نحن على الفراغ.. **(يستذكر قانوناً فيزيائياً)** المادة هي كل ما يشغل حيّزاً من الفراغ.. **(يضحك)** وفراغي، فراغنا يتمدد في نعومة وبرود!! **(يدور حول الثلاثة المتخشبين في وقفتهم)** هَبِي أيتها الجوقة الآدمية المتخشبة أنني انفصلتُ عن الفراغ، وأصبحتُ جثّةً على الرصيف، هل ستساومون عليَّ العابر الغريب؟ **(يدخل في المربع الفارغ)** هبي أيتها الجوقة التابعة أنني ملأت الفراغ/ القبر، هل ستحمّلون وزري شارعاً من شوارعكم يحملُ اسمي؟ افعلوا، إنما تحاشوا أن تمروا فيه، فالأورام

السرطانية تظهر كالدمامل عليه، وتحاشوا أن تنظروا إلى أنفسكم في المرايا فتعجبوا بها، ففي المرايا زيفٌ مر.. أريدُ أن أصل إلى أعماق أنفسكم أيتها الأجساد المتخشّبة..

أريدُ أن أشخّص عللكم لكنني حائر! أهي أورام.. أورامٌ ملعونة؟ لستُ أدري، ربما تدرون أنتمْ. تكلّموا، تكلّموا.. **(يوجه المرآة تجاه جمهور الصالة، يتّوجه نحو السرير لينام عليه، يبزغ نجم صغير، يسلط ضوءه الخفيف على وجهه)** يا للأمل الذي نحن محكومون به.. ليست هذه نهاية التاريخ.. أقسم إنها ليست النهاية **(يتوقف صوت جهاز مراقبة القلب)**.

(يسلّط ضوء أفقي على ثلاثة الأجساد المتخشّبة، تتحرك، تتحول الجدران في أياديها إلى وثائق يقرؤون منها بصوت واحد، تضاعف الصوت بشكل تلقائي).

الثلاثة **(وقد وجّهوا أنظارهم نحو مصدر الضوء)** ولم نقف مكتوفي الأيدي، حائرين فيما يجب أن نفعل، بل إننا تصدينا للمرتزقةِ من عملاء المخابرات الأجنبية، واجهناهم، وتناكفنا معهم. لقد كانت سلطةُ الشعب هي التي أمدّتنا بالقوةِ في مواجهتهم، وكانت سلطة الشعب هي التي دفعتنا بكل جراءة وشجاعة كي نواجه هؤلاء الخونة الذين ستلتهمهم الأفاعي، وستلدغهم العقارب، أفاعي الشعب وعقاربه **(يزيحون الجزء الدائري الوسطي**

من الجدار، وهو عبارة عن دائرة يدخلون فيها رؤوسهم) هذه وثيقة العهد، والولاء والطاعة، تطوق رقابنا، وحين يرانا العدوُّ يعرف أننا نصونُ عهودنا، وسنظلُّ هكذا نحن وأجيالنا من بعدنا وما تليها من أجيال منتبهين لدرء أي خطر، وسيظلُّ شعار الثورةِ، لامعاً برّاقاً لا يثنيه عدو غادر متربصٌ عن مواصلة درب الإصلاح **(تتبدل إضاءة الضوء إلى اللون الأحمر، تتخشب الأجساد ثانية، ويتصاعد الدخان).**

نهاية المسرحية

مسرحية

مونوبولي

الشخصيات:

- **سهى**
- **ماهر**
- **عطا**
- **المسجّل**
- **حارس**

(الجثمان في زاوية، ماهر وعطا يلعبان لعبة المونوبولي، سهى تكتب على أحد الأبواب..)

سهى (تكتب) يا عيب الشوم.. (تدق الباب، يدار الباب..).

عطا أشتري البنك.

ماهر بدأت تفقرني.. حسناً (يقلب مكعب اللعبة) خمس نقاط (ينقل أسهمه).

عطا سجن.

ماهر حظي اللعين.

الحارس (شكله أجنبي السحنة، يلبس بنطلوناً وقميصاً، في يده دفتر) اسم الأخ.. صاحب التابوت، صاحب الجثة، حسناً لا يهم.. الاسم لو سمحت..

سهى ع.. (تحاول التكملة، يشير لها بالتوقف. يكتب شيئاً).

الحارس العائلة..!!

سهى ممتدة إلى الحد الذي يصيبك بالهلع..

الحارس (تتدفق منه ضحكة دون قصد ويداريها بيده) أما أنا فمتأكد أن رحماً قد لفظني وفقط!!.. لا يهم.. حسناً، متى كانت آخر مرة قلَّم أو قلمت فيها أظافره، وبالذات هذا المفعوص؟ (يمسك إصبعه الصغير في رجله فيتأرجح).

سهى ليلة موته..

الحارس إذن فلم يمر عليه عشر سنوات كمواطن في هذا البلد المناضل..

ماهر **(وهو يلعب)** يلعن شكلك..!

سهى ناقص يوم واحد..

الحارس **(يغمز لها)** أووه مشكلة.

سهى عفواً..

الحارس يجب عليه أن يكمل العشر كمواطن إلا إذا..

سهى لكنه عربي..!!

الحارس **(صوت ماعز)**

سهى حسناً هل سنزيف أوراقه..؟

الحارس **(يصدر صوتاً بفمه يشير إلى النفي)**

عطا **(وهو يلعب)** ابن الـ..

سهى نوقظه كي يكمل عشر السنوات..

الحارس ربما، لكن السلطات لا تفضل فاصلاً في المدة..

سهى إذن؟

الحارس إلا إذا.. **(يلمح برغبة نحوها)**

سهى يلعن شوا.. **(تتداخل مع كلامها أصوات ذبذبات مذياع).**

(يقفل الباب في وجهها، ثم يفتح مرة أخرى وتجذبها يد إلى

(داخله، يسمع صوت مهروس مختلط، ثغاء عنزة مرتفع ثم يتقطع، ثم يهدأ تدريجياً)

(يفتح المسجى في الصندوق/ التابوت الباب، المسجى يرتدي قميصاً وثوباً أبيض، ويكون وجهه مصبوغاً بالأبيض، يفرد يديه ويلوي ظهره، كي يدفع ثقل الرقدة، يخرج من الصندوق، يحاول مشاركة الرجلين اللعب بالورق، يحمل بعض الأوراق من الجانب..)

عطا أوه لا يمكنك اللعب، إنك في حكم الميت الآن..

المسجى أف **(يمتعض ويركل الورق برجله ثم يعود غاضباً إلى تابوته ويقفل على نفسه الباب).**

ماهر لو تركت المسكين يشاركنا اللعب.. ربما مل من الرقدة..

عطا كفاه تشرداً طوال حياته، عاش لاجئاً في مدن عربية كثيرة .. غريباً فيها كلها، حاول أن يجمع شتاته فيها فزادتها تمزقاً..دعه يستقر كومة واحدة..

ماهر عندك حق، فهو لا يجيد أصول اللعب المخفي.

عطا أين أختك؟

(سهى تلفظ من داخل الباب وقد نال منها الإرهاق، ويبدو أنها تعرضت لمهانة ما، يهرع إليها الرجلان).

الرجلان ماذا قالوا؟

ماهر هل تحدثت إليهم بشأن المواطن ع، وجوده معلقاً بهذه الصورة يشكل عبئاً علينا.. صحيح؟!

سهى (مرهقة وممتعضة، لا ترد).

الرجلان ماذا قالوا؟

عطا يبدو أن مفاوضاتك معهم قد أخرجت روحك من حلقومك!!

سهى (كأنها فقدت الذاكرة) قالوا..

الرجلان (بحماس) ها؟

سهى قالوا إن..

الرجلان (بحماس أكبر) ها.. ها..

سهى لم يقولوا شيئاً..

الرجلان (بإحباط) ها..

سهى لكنهم..

الرجلان (باندهاش) ها..

سهى لكنهم فشلوا..

عطا ليس ثمة دليل على فشلهم..

ماهر تتوقع الخيانة..

عطا لا أثق بأحد..

ماهر حقير!!

سهى (تتجاهله، تشير إلى المسجى في الصندوق) هل علم شيئاً عن الموضوع؟

ماهر كلا، حاول أن يسلي نفسه فردعه أخوه عطا..

سهى **(وهي تفتح باب التابوت، وتحدث المسجى)** لا تبدو الأمور مشجعة، لم يحن أوان الاستسلام بعد..

المسجى **(يرفع رأسه)** يخافون أن أنتصب فجأة من مرقدي، يعرفونني تماماً..

سهى هذه هي المصيبة!

(صمت)

ماهر **(يصرخ)** ضائعون.. سماء بلا أفق، وميت بلا قبر.. **(أصوات مارشات عسكرية تقترب، أضواء مركبات تغسل الفضاء.. ثم تختفي).**

عطا سنظل هكذا.. من مقبرة إلى مقبرة..دون أن يقبل أحد هذه الجثة الهامدة، الباردة الأطراف.. **(يحاول أن يسب)** الله يلعن **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع).**

(يفتح حارس المقبرة الباب، بيده كراسة، يتجه نحو الصندوق، يدق عليه، يفتح المسجى باب الصندوق، يخرج..)

المسجى **(بضجر)** أسئلة.. أسئلة.. قل.

الحارس لقد انكشفت الحقيقة، كنت تطمح أن ترى نصباً تذكارياً لك في الناصرية أو كربلاء أو النجف.. **(وهو يقلب الكراسة ليصل إلى رسم معين فيها)** في الصف الثالث الابتدائي.. طلب مدرس التربية الفنية منكم في الفصل

رسم سماء صافية.. وقد فعل جميع زملائك ذلك، غير أنك كنت شاذاً (**يا شاطر**) ورسمت في الأفق نجمة صغيرة.. هل تفسر لي ذلك؟

عطا (**يسب**) يلعن أبو.. (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**)، (**يرمقه الحارس بنظرات حادة، يوجه ماهر عينه إلى مكان آخر محاولاً التهرب، توتر ما في هذه الأثناء..**).

سهى (**تهب**) لا يستطيع التبرير لأمر كان في حياته، لقد مضى على هذا الأمر عقود.. من يتذكر؟ ثم إنها نجمة صغيرة لم تكن تبعث أي شعاع.. وبالتأكيد فإنها مسحت من كراسته.. (**باندهاش ساخر**) هاه الكراسة بكليتها معكم، أنتم لا تضيعون شيئاً من مقتنيات المواطن ع..

الحارس (**ساخراً**) لم تكن تبث أي شعاع.. لم تكن تك تك تك!! (**يمسككها من شعرها**) أصبحت كآلة الطباعة القديمة.. (**للميت**) تذكر.. تذكر.. تذكر..

عطا (**ساخراً**) ذاكرة مقفلة.. انتهى كل شيء..

الحارس ليت هذا المسجى في التابوت يموت..

ماهر (**يتوجه نحوه**) أنت أعمى، أصم، أبله.. ليته يموت!! كيف وهو ميت؟

الحارس طوال عمرك عشت غبياً، ولهذا فقد مات في نظرك!!

المسجى حسناً.. (**الجميع يترقب، يلف محاولاً التذكر**) كان معظم

زملائي يحاولون أن يرسموا النجمة، كنا نتسابق من يرسمها أولاً، كانت كالعروس التي تتخذ من أثواب الضياء أجنحة.. وكنا الحمائم التي تتحلق حولها..

الحارس **(بغضب)** وكنتم تدركون أن ذلك ممنوع!!

المسجى كانت الريح عاصفة آنذاك، وكل شيء كان سيرتحل مع العاصف القادم.. في ذلك العام.. في ذلك العام، ذكريني سهى.

سهى تلاقينا معاً عند ترعة الماء.. وتبادلنا كلمات الغزل.. و..ورقصنا (يمسك كل منهما بيد الآخر) رقصنا على هدير المدافع، وزغاريد المزفوفين إلى المثوى الجميل..

المسجى **(يوقفها)** حاولت أن أصعد إلى أعلى قمة في تلك التلال كي أقطف لك النجمة.. كان الآخرون يحاولون مثلي.. لكن **(مارشات عسكرية، أضواء مركبات، تختفي)** لم أعد أتذكر سوى أن ذلك كان حلماً رائعاً.

الحارس ومع هذا رسمت النجمة في الكراسة دون إذن من المدرس..

المسجى رسمتها حتى أثبت شكل النجمة الحقيقية التي يجب أن يفرد لها الفضاء أجنحته، وتطلق لها الزغاريد الملهوفة..!

الحارس هل سمعت يا سيدة؟ وتريدين أن يستقر جثمانه بسلام؟

سهى رسمها لي..

ماهر ليس هذا أوان التفاخر.. لقد مات وجر معه حروقنا..

عطا **(يأخذ الحارس جانباً، يتحدث معه).**

الحارس **(بصوت غريب)** يمكنني في هذه الحالة أن أمنحه قبراً مقابل ألف دولار أمريكي.

عطا ألف دولار أمريكي، مغرٍ بالنسبة إليك، ممتاز ولكن من أين؟..

ماهر مقابل شبر في أرض سبخة.. **(يتكلم دون أن يسمع منه شيء)** **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)**

(يعود الحارس إلى الداخل من الباب الأول، يحاول عطا اللحاق به..).

عطا **(وهو يهز ماهر من كتفه هزاً)** بدأ يصيبني القرف من المسألة برمتها، لندفع له..

سهى ألف دولار أمريكي.. **(للمسجى)** عد إلى الصندوق **(يعود)** **(لعطا)** لا يجب أن يشعر بشيء..

عطا حين تتعفن جثته.. سترين أن الألف لا شيء..من مصلحتنا أن يدفن وأن تدك الجرافات عظامه.

ماهر ولكن من أين المبلغ.

سهى **(تنهره)** ماهر!!

عطا لا يخصني، ربما من أوراق المونوبولي.. على نياتكم!!

(لحظة صمت)

(يسمع صوت مارشات عسكرية، أضواء مركبات.. يهب الجميع

واقفاً، تختفي الأصوات والإضاءة، يعود عطا وماهر لتكملة لعب الورق).

(تنهض سهى تكتب على الباب الثاني)

سهى (تكتب) لم تكن النجمة تبعث شعاعاً. وكان بيني وبين المواطن ع برزخ من الطابور الخامس.

(تجذبها يد من داخل الباب الثاني، يسمع ثغاء عنزة بشكل يرتفع ثم يعود إلى الانخفاض تدريجياً)

(يخرج المسجى من تابوته، يجلس جانباً ليفكر)

المسجى (وهو ينظر إلى الكراسة الملقاة على الأرض، ينتفض واقفاً، يهرع إليها، يضحك..، يلتفت إليه الاثنان، يهرعان للنظر في الكراسة..).

ماهر ما المضحك..؟!

المسجى تمعن في الرسم..

ماهر سماء صافية إلا من نجمة.. النجمة التي اتهمك بها الحارس.

عطا وبسببها يرفض أن يمنحك في مقبرته شبراً حقيراً..

المسجى (لماهر) كيف كان شكل النجمة التي ارتسمت في ذهنك منذ طفولتك..

ماهر (يفكر) حسناً أربعة مثلثات يلتصق بعضها ببعض، كل مثلث منها يشير إلى أحد اتجاهات الأرض..

المسجى جميل، تمعن في هذه النجمة إذن..

عطا لا تحاول التضليل..

ماهر **(يحاول التمعن بدقة)** آه.. صحيح، إنها ليست كذلك.. مثلثان كبيران يمتزجان أحدهما بالآخر فيشير الأول إلى الأعلى والثاني إلى الأسفل.. إنها نجمة.. **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)**.

عطا أين أختك.. اختفت مرة أخرى..؟!

(يخرج الحارس..).

ماهر **(يندفع نحوه)** أين أختي..؟!

المسجى **(منفعل هو أيضاً)** أين زوجتي.. أقصد أرملتي؟ **(يتقهقر)** عفواً.. آسف لست جزءاً من الموضوع أعرف.. **(لماهر)** تفضل.. **(يريده أن يواصل تساؤله عنها، يعود المسجى إلى تابوته ليدخل فيه)**.

الحارس حسناً.. إنها مقايضة..؟!

ماهر **(منفعلاً)** مقايضة.. على ماذا يا عين أمك؟!

الحارس على المبادئ..

عطا يعجبني هذا..

ماهر اسكت أنت.

الحارس اسمعا. عليكما أن تصدقا بأن هذا اللعين **(يشير إلى المسجى)**.

ماهر **(يحاول مهاجمة الحارس)** لا تلعنه..

عطا **(يمسك ماهر)** هس..

الحارس هذا اللعين يخبئ بودرة سامة في تابوته ولن يتورع عن أن يقذف بكمية منها في وجهيكما.

ماهر مستحيل.

عطا نافح عن نفسك وحسب، الحارس عنده حق..

ماهر أين أختي..؟!

الحارس المدعوة.. **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع، لمساحة ذكر اسمها فقط)** لن تتمكن من رؤيتكم إلا إذا..

ماهر إلا إذا ماذا أيها الـ **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)**.. أيها الـ **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** أووه أوغاد!! **(أصوات مارشات عسكرية، إضاءة مركبات، تختفي..)**.

الحارس حذرتك.. يبدو أنك صلف وجلف الطباع..

عطا دعك منه. تكلم معي...

الحارس هذا أفضل.. لنثبت التأكيد ثانية، كما قلت إن **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** لن تتمكن من رؤيتكم ثانية إلا إذا رضيتم بأن تجذا عنق هذا الخطير **(يشير إلى المسجى)**..

ماهر قلت لك إنه ميت..منذ زمن.. منذ أن بدأتم في تطويقه رويداً رويداً، حتى بدأ جسده يتفسخ..

عطا (**يتقزز**) شيء مقرف.. اسكت

ماهر كيف حالها هي الآن..؟! (**لا مجيب، يفتح التابوت**) تسمع حضرتك..

عطا تناقض نفسك.

ماهر نسيت أنه ميت، ربما أحسست في لحظة ما أنه يجر علينا البلاء فوق ما تعانيه سهى من إذلال وتحقير.. إن أختي هي موضع الرهان الآن..

عطا ما الذي يجعل الحماقة تصم أذنيك، هل سمعت مبدأ المقايضة.

ماهر ولا أريد أن أسمع.

عطا هذا الصفاقة بعينها.

ماهر بل هذه حقوق الإنسان التي يجب (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) مجد الحياة (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) الاعتزاز بالوطن (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) الحر الكريم (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**).

عطا أنت تحلم..

ماهر نحن نعيش في (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) حرية رأي (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) صوت عال (**تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع**) الأفاكون.. الخونة.

الحارس (**يتدخل**) عرب طول عمركما لا تكفان عن التناكف، حسافة.. (**يخرج دفتراً**) اقرأ.. (**لعطا**)

عطا (**متوجساً**) وأنت.

الحارس لا أجيد القراءة.. (**تسمع ضحكة لا يعرفان مصدرها في البداية، لكنهما سرعان ما يعرفان أنها صادرة من التابوت**).

عطا (**يقرأ، تطل سهى من نافذة صغيرة في الباب الثاني، ويطل المسجى من تابوته**) في عام.. الكتابة غير واضحة، نثر المدعو / حسونة الهندي على تجمع ثائر بمدينة صلاح الدين الكردية شمال العراق، بودرة من النوع الحارق وقتل عرباً أبرياء منهم النساء والأطفال..

الحارس توقف. هل سمعت؟ (**يجذب الدفتر من يد عطا**) يكفي، لا مزيد من التفاصيل.. (**يخرج المسجى من تابوته إلى سهى يسمر وجهه في وجهها..**)

ماهر (**لعطا**) هذا مبدأ المقايضة..

المسجى (**يتحدث إلى سهى**) في ذلك اليوم الذي رآني فيه هذا الشرطي العلج منطلقاً بحماس فوار نحوك، وقد كانوا يمارسون النكاية البشعة.. وكنت مقطعة الأوصال، كان كل شيء يتجه إلى التصعيد، المقاومة في أوجها، حيث قتل الكثير من قياديها، وبات الأمر مرهوناً بتحقيق نصر مؤزر يفرج عليها كربتها.. كنت واحداً من هؤلاء الحواسم الذين..

عطا **(مقاطعاً)** حسناً أيها الحارس دعنا نفكر.. **(يأخذ ماهر جنباً)** سمعت قال الحواسم.. لنرض بالمقايضة.

ماهر وأختي؟

عطا عدنا للغط..

الحارس ولن تنتهيا منه، اطرُقا عليَّ باب المقبرة حينما تتوصلان إلى اتفاق.. **(يدخل من الباب الثاني)** بو.. **(يطلقها في أذن المسجى)**.

عطا إنها تشاركه الجريمة.. ليس على حسابي!!

المسجى **(يأخذ الدفتر الملقى، يتأمل فيه، يضحك)** **(يختفي وجه سهى من النافذة الصغيرة، يظهر وجه الحارس متلصصاً)** علوج.

عطا من؟!

المسجى النذل وطابوره الخا **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)**.

ماهر **(ينظر في الدفتر)** ماذا ترى ثانية؟!

المسجى الحافلة..

ماهر محطمة.. ما بها..

المسجى تذكر ما رأيته في الحادثة السابقة..

ماهر تقصد النجمة؟

المسجى بعينها

ماهر ما بها النجمة؟ هل تقول ثانية إنها..

المسجى لن أتكلم. انظر أنت..

ماهر **(يمعن النظر)** يا عيب الشوم!

المسجى اكتشفت بنفسك!!

ماهر ورطت نفسك.

المسجى علوج.. لا يجدي معكم الكلام.

(يدخل المسجى في تابوته، تخرج سهى من الباب الثاني)

عطا هذه المرة حالها أفضل، ربما لم..

ماهر يلعن.. **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع).**

عطا حسناً لا يهم ذلك.. اسألها مقابل أي شيء أفرج عنها.. **(ضحكة ساخرة، يرمقه ماهر محتقراً).**

سهى مقابل لا شيء.

عطا تعودت!!

ماهر **(منفعلاً)** كاذبة.. **(صمت)** أنت تعرفين أن أية حكاية يمكن أن تدلق بها لسانك قذارة، قذارة مؤلفة من نفايات.. إن القدر الذي أودعنا كالشحاذين بين المقابر من أجل..

عطا أووه حاذر أن يزل لسانك..

سهى حسناً سأقول لكم.. **(يهرعان نحوها وقد تخليا عن مواقفهما المتشددة، أصبحا كالبلهاء).**

الاثنان هاه؟

سهى قالوا..

الاثنان هاه؟

سهى قالوا.

الاثنان هاه.. هاه!!

سهى لم يقولوا شيئاً..

الاثنان **(بإحباط)** هاه؟

سهى لكنهم كانوا خائفين..

الاثنان **(باندهاش)** هاه..

سهى **(تركض باتجاه المسجى وتفتح الصندوق لتخصه هو بالحديث، صوتها: يختلط فيه الهمس والاستشعار بالخطر)** لقد تلصصت عليهم في إحدى جلساتهم السرية.. لم أتمكن من التقاط أية كلمة محورية، كانت الكلمات تتمزق في أحاديثهم، كانوا يرفعون عقائرهم بالسباب؛ كل واحد منهم يتهم الآخر بالتخاذل والعمالة.. لكنني أعتقد أن كلاً منهم يدرك أن ما يقوله عن الآخر يعبر به عن وضعه.. **(صوت مارش عسكري، أضواء مركبات).**

ماهر أووه..لا.. لا سهى لا تحاولي الخوض في مثل هذه الأحاديث.

عطا لم يعد الوضع يروق لي..

ماهر ما الذي ستفعله أيها الصديق؟..

عطا **(يبحث عن قبر)** سأقوم بمهمة حفار القبور.. سأدفنه بيدي، دع الحارس اللعين يفعل بي ما يشاء..

(يتدخل الحارس)

الحارس هل طُرق الباب؟! **(يفاجأ عطا بالأخص، لا يجيبه أحد)** حسناً سأتولى أمره بنفسي..

عطا الحمد لله، حلت المشكلة.

الحارس بعد أن نشنقه معاً..

عطا أنا موافق..!

سهى ياعيب الشوم.. لقد حاولت أن تدس قذاراتك بالتأكيد لكنك تتجه نحو التعري..!!

ماهر **(زاجراً)** سهى..!

عطا لم أعد أطيق البقاء في خرابة.. أريد هواء **(يصرخ)** أريد هواء من على شرفة تطل على البحر..

الحارس **(يمسك بيد عطا ويأخذه جانباً، يظهر رأس المسجى).**

عطا ما الذي تريده؟

المسجى **(رافعاً عقيرته)** سيطلب منك ألفي دولار..

الحارس **(هامساً)** يلعن أبوك..! كيف عرف الأخرق ما سأطلبه منكم..

عطا إذن فلم تكن تريد المرأة..

الحارس من الذي لا يريد المرأة.. لا يريد رائحتها على الأقل؟!

عطا لكنك طلبت ألف دولار في السابق..

الحارس ورفضتم.

عطا دحضنا حجتك..

الحارس تقصد نجمة السماء في الكراسة.. دعنا من الحديث عنها.. الحكماء يرون أنكم في وضع صعب..إن عليك أنت وماهر أن تخرجا من هذه المقبرة..

المسجى اخجل من نفسك حقير..

الحارس **(يوجه إليه صفعة).**

عطا أصم..

الحارس كلاكما سواء..

عطا هل نقايضك بالعنزة ويكفي، العنزة حلوة!

الحارس تحسبني مثلك زير نساء؟

عطا **(يحاول أن يوجه إليه صفعة لكن يده تضرب في الهواء).**

الحارس **(يتوجه إلى ماهر)** صدقني والله، أتفهم لو أنكم تبحثون لهذا **(يشير للمسجى)** عن مقعد في مجلس النواب.. لكن المصيبة أنكم تبحثون له عن قبر.. هذه أم المصائب..

عطا هس..

(يسمع مارشات عسكري وأصوات، يدخل الحارس إلى المقبرة سريعاً)

سهى **(تكتب على البوابة الثالثة)** جثة المواطن ء **(تكتب الحرف الأول)** ع **(ولا تستطيع أن تكمل الكلمة بسبب صوت طائرات وانفجارات مدوية، تندفع وتتراجع، ثم تترك فراغاً وتكتب قد بدأت تتكسر أضلاعها).**

ماهر سيزيدونها تحطيماً.

عطا علينا أن نقايضهم..

ماهر ضميري لا يسمح لي.

عطا حسناً **(يلقيه أرضاً)** ابق أنت في المقبرة حتى يحين دورك أما أنا فلا..

ماهر **(صمت، يندفع منفعلاً إلى التابوت، يسوق المسجى من يديه، يدفعه)** بدأ صبري ينفد.. لم لا تقتحم أحد القبور وتندس خلسة؟

سهى إنك ترتكب حماقة..

عطا لقد بدأ يتحلل.. أعده إلى التابوت.. أشعر باختناق بسبب الروائح الكريهة التي تصدر منه.

سهى من أخيك..

عطا جثة أخي.. حسناً، لم أكن أشعر بذلك الود الدافئ نحوه في حياته.. لقد كان متهوراً..

سهى كان يناضل من أجلك وأجلي..

عطا كان يرتكب الحماقة تلو الأخرى..يناور، ويهاجم، و

سهى يا عيب الشوم! أدركتُ الآن سبب الرائحة..

عطا بجد، لم أكن أشعر نحوه بمودة الأخوة..

ماهر **(يمسك بيد أخته ليخرجها)** حسناً، لسنا نحن أقرب منه لأخيه..

عطا لنسوِّ المسألة فيما بيننا، دعونا نتكاشف..

(يدخل الحارس)

الحارس كأنني سمعت طرقاً على الباب..

ماهر أقسم بالله العظيم أنك أصم..!

الحارس **(يتصنع الدخول ثانية)** يلعن.. حسناً.. هل تلعبون؟!

ماهر هل توجد تسلية أفضل مما نحن عليه الآن.. مراجيح، خيول دوارة، أقفاص راقصة.. وسط كل هذه المقبرة.. وحضرتك لا تريد أن تمنحنا شبراً من هذه الأرض البائدة لهذه الجثة المتحللة..

الحارس أنا مجرد حارس على هذه المقبرة سيدي.. الذين هناك (يشير إلى أعلى) هم الذين يشيرون عليَّ، إنني لست **(يسمع مارشاً عسكرياً، يغير حديثه)** هل تلعبون؟

عطا أية لعبة..

الحارس المونوبولي..

ماهر (**متهللاً**) أووه منوبولي.. لم تقل لي ابن الذين.. هيا..هيا.. (**يجلس الثلاثة للعب**).

(**يخرج المسجى من التابوت وقد تضعضعت عظامه وبدا لا يستطيع الحراك، ينسل إلى الخارج كالأفعى**)

الحارس جسدي يا سهى يتحلل.. أضلاعي بدأت تتكسر.. هل توصلتم مع اللعين إلى أي شيء، أي شيء.. حفرة حقيرة..

سهى سيلعبون معه اللعبة الأخيرة.. مونوبولي..

المسجى (**يضحك بسخرية، يتخلل الضحك كحة مريرة**) مونوبولي.. بالطبع سيتوصلون إلى شيء معه من خلالها..!!

سهى (**تقف أمام مرآة، تبدأ في إصلاح هندامها**).

المسجى أشتم رائحة لا أحس براحة نحوها.. كأنك تريدين الخروج (**لا تجيبه**) لا يصح لك أن تخرجي مع الغرباء.. سوف..

عطا (**يصرخ**) ..ok ممتاز، الآن لدي أنا أوراق المناورة، أفلست أنت أيها الحارس.. أنا أملك محطة وقود، بنك، مزرعة.. هم م م.. حتى بطاقة خروج من السجن في جيبي.. كان الرهان أن نخرج من هذه المقبرة.. (**ينظر إلى المسجى**) ربما ستقع كارثة بعد قليل.. هاه ما رأيك..؟!

الحارس (**ينظر إلى المرأة، يتعجب من جمالها**) أووه.. لا.. ساحرة في مقبرة.. لالا، يبدو أن الجثة ستخرج من المقايضة تماماً...!

ماهر ماذا..؟!!

الحارس ستدخل المرأة في اللعبة..

عطا من يسمعك يقول أنها خارجها..

الحارس حينما تكون في الداخل لا تتمتع بكل هذه الحيوية، ربما أمامكم تتفلق كالكمثرى الناضجة..

سهى ومع هذا كنتم تدورون حولي كالذئاب المسعورة..

المسجى أتذكر أنهم منذ زمن بعيد كانوا يتلصصون علينا في خلوتنا، كنت أرى عيون قطط في كل ثقب بالغرفة..

ماهر **(للحارس)** حسناً، اشرح لنا كيف يتم الأمر، لم يعد الأمر يطاق، الجثة بحاجة إلى قبر أرجوك، نحن نرتكب إثماً.. لا يصح أن يحدث هذا في بلد عر.. **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** ومع مواطن ع ابن الحسب والنسب **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** الله يخرب بيوتكم..

الحارس حسناً لنسوِّ الأمر إذن.. قلنا إن الخاسر في لعبة المونوبولي.. الخاسر بيني وبينك **(لعطا)**.. ينال المرأة، وأنا خسرت..

عطا **(موافق)** تقريباً!!

ماهر حقير..

عطا تنام ثم تستفيق على هذه الفقاعات! لا تدري أن أختك

حين تجذب من كل باب يُفْ **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** المشينة.

ماهر دعني أفكر قليلاً.

المسجى يا جماعة قبر لو سمحتم..

الحارس اسمعوا هي مهمة بسيطة تنتظركم، ستفعلون ما قلت للمواطن ع، أما المواطنة ف أقصد سهى فسآخذها إلى أحد صالونات النساء، والله العظيم ستلهب رغباتكم بعد خروجها منه..

ماهر نسلمها لك! مستحيل..

سهى ارفع عقيرتك أكثر.

ماهر **(يصرخ)** مستحيل.. المرأة التي تتحدث عنها بهذه الخفة والصفاقة هي **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** وطن **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** وطن مشرد **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع)** مقطع الأوصال.

سهى كنتم تراهنون عليَّ طوال الوقت..

ماهر قل لي أأنت ذاك الحارس السابق نفسه والذي قبله؟

الحارس ربما لا تستطيع التمييز..

عطا لقد كانوا ثلاثة.. وربما أربعة، خمسة..

ماهر وتعرف أنت..

المسجى فضوا الجدل.. محتاج إلى قبر يا جماعة.. **(لا يولونه اهتماماً)**

سهى من زمن وهم يأخذونني معهم إلى الكازينوهات..

ماهر مؤامرة متقنة!!

سهى مرة في الحمراء وأخرى على ضفاف التايمز وخلسة في إحدى قرى النرويج، لا تتصور قدر النشوة التي كنت أحس بها، هذا طبعاً غير علاوات السفر ووسائل الترفيه..

ماهر لا أكاد أصدق نفسي.. زيف، خداع.

(يسمع مارشات عسكرية).

الحارس لم يعد لدينا وقت كاف.. علينا أن نسرع للمحطة، سيمرون ليأخذوا المرأة للتجوال، عليكم تنفيذ ما قلت..

ماهر أنت تتاجر بها إذن.. لست أختي، سهى هل تعني لك هذه النبرة شيئاً.. كلا سهى، لست أختي.. بالطبع منحوك عدة جنسيات.. لا شك أن الحليب الذي رضعناه معاً جف من ريقك..

المسجى **(يتحامل فينهض)** وحينما كنت تغادرينني محشوة بالبارود في استدارة خصرك لم أكن أشك إطلاقاً أنك في كل حافلة تطايرت أسقفها.. بينما كنت أيتها المخدوعة تمضين تتقطعين ضحكاً على ضفاف التايمز **(يحاول أن يصفعها، يسقط جثة هامدة).**

عطا أخيراً..

الحارس لم يمت سينهض بعد قليل، لو تدركون كم روحاً له كما ندركها..

ماهر **(مقاطعاً)** هراء.. هذه مؤامرة.

الحارس ويجب أن تنفذها بيدك.

ماهر إذلال.

سهى مارسوها عليَّ وكنت تراقب.. طوال حياتك كنت تراقب.. ديوث!!

ماهر كنت أصوغ لك القصائد والمواويل الحزينة.

الحارس وتهز أكتافك لها..!!

سهى بالضبط.

عطا والحل.

الحارس آه تذكرت.. **(يرمي مكعب لعبة المونوبولي في الهواء.. لماهر)** قل كم حبة ستظهر في السطح..

ماهر ثلاثة.

الحارس ست حبات.. كل المكعب ست حبات في وجوهه الستة..

عطا يا بن الذين..

الحارس أريد هذه.. **(يشير للمرأة).**

عطا نتشاور.

الحارس إذا كنتم تريدون الخروج من المقبرة الموحشة.

ماهر ماذا؟

الحارس تشنقان تلك الجيفة.. **(يخرج ورقة).**

عطا ما هذه؟

الحارس خارطة الطريق.. كي لا تضيعا بين المقابر حينما تخرجان أنت وهذا العنيد..

ماهر وأختي؟

الحارس لست مفاوضاً جيداً، هل تريد قبراً أنت الآخر.. إذن.

ماهر انتظر.. **(لأخته)** ما رأيك، كلها مسألة وقت، وسنقتحم المقبرة أنت والأصدقاء في التنظيم.. هاه ماذا تقولين..

سهى موَّال!!

عطا إذن نوافق..

الحارس على شرط.

ماهر يلعن أبو.. **(تتداخل مع كلامه أصوات ذبذبات مذياع).**

الحارس أن تتبعا جيداً خارطة الطريق ولا تحاولا الخداع..

عطا وماهر موافقون.. **(يخرجان المسجى ويعلقانه من إحدى رجليه في المسرح منكوساً على رأسه، تعلق إحدى رجليهما في وثاق دون أن يدركا).**

الحارس ممتاز..

ماهر (يغمز أخته، وهو يشد وثاق المسجى) كما قلت لك لن نتأخر..

الحارس سنخرج، هيا سهى..

سهى (**تخلع باروكتها**) أووه يا حسن، انتظرت هذه اللحظة يا حبي منذ سنين.. سنين طويلة..

ماهر إلهي (**مندهشاً**) هذه ليست سهى..

الحارس إحدى الراقصات من شارع مونو.

سهى الوقت يداهمنا، هيا.

الحارس عندي طلب صغير.

سهى عيوني.

الحارس أن ترثي هؤلاء (**يقصد ماهر وعطا**)

سهى حقيرون.. لا أعرفهم، (**يخرجان**) (صوت مارش عسكري أقوى من ذي قبل)

ماهر وعطا (**يحاولان الخروج إثرهما بسرعة، الوثاق يوقفهما على بعد قليل من الجثة**)

عطا خيانة..

ماهر لا أريد أن أموت حياً (**صوت قصف طائرات، مدافع.. رشاشات، أدخنة، تنتهي المسرحية..**).

تنتهي المسرحية

صفحة بيضاء
رقم ٨٠

مسرحية

الشَّفَق

صفحة بيضاء
رقم ٨٢

هذه المسرحية

استلهمت هذه المسرحية من القصيدة الرائعة للشاعرة الإنجليزية " أليس مينل " تحت عنوان " خطاب فتاة إلى العجوز التي ستكونها بعد سنين " وقد عملتُ على تفكيك الشخصية، والتّصرف في القصيدة بتحويلها إلى حوار (ديالوج) بعد أن كانت (مونولوج)..

فكل ما يقع بين القوسين الصغيرين "_ _ " من قصيدة الشاعرة، وما عدا ذلك فهو من تأليفي.

إنها أمسيةٌ.. للمساءِ الذي سنكونه، مع الشخصية التي سنكونها..!!

الشخصيات:

- **الفتاة**
- **العجوز**
- **الفتى (صوت فقط)**

بداية المسرحية

(الفتاة في غرفتها، وهي منشرحةُ الصدر، على أُهبةِ الخروج، تترنم وتبدو في عجلةٍ من أمرها.. تسمع صوت صديقها من الخارج).

الفتى سيفوتنا موعدُ القطارِ المناسب يا عزيزتي..

الفتاة **(ترفع صوتها، مازحةً)** أووه يا لهذا القطار..! لِمَ لا يتأخر من أجلي ولو لدقائق.. ألا تستطيع أن تتحدث مع سائق القطار كي يتأخر قليلاً ريثما أُنهي وضع أحمر الشفاهِ، وأُرتّب قليلاً من وضعي؟!

الفتى ومن أنا حتى يفرمل القطار لي أو حتى يتباطأ بسبب تلقيه محادثةً هاتفية مني؟ هيّا يا عزيزتي سيفوتنا القطار والعرض الأول للفيلم..

الفتاة دقيقة واحدة فقط.. **(تقف أمام المرآة، وتمسك بقلم الشفاه، تظهر فجأة أمامها امرأة عجوز ذابلةُ الوجه، كثيرةُ التجاعيد.. تتصاعد الأدخنة)** يا إلهي.. **(تفرك عينيها..)**

العجوز قليلاً.. قليلاً ستبصرين تلك الأخاديد في وجهي المتغضِّن..

الفتاة من أنت بحق السماءِ..؟!كيف تأتّى لك أن تظهري في مرآتي..؟! ما الذي يحدثُ؟!

العجوز "اسمعي أيتها المرأة التي أبلتها السنون، إذا طويت يدك على هذا القرطاس فاذكري تلك التي باركته بلمساتها وقبلاتها" **(صمت)** هل تذكرين هذه العبارات..

الفتاة لا أذكرُ شيئاً..

العجوز لا تذكرين..!! ما أسرعَ ما يكسو النسيان قلبك، كما يكسو البساط الأخضر وجه الثرى....

الفتاة بأيَّة مناسبةٍ تقتحمين عليَّ غرفتي..؟!

العجوز أنت دعوتني..!

الفتاة **(بدهشة)** أنا..!

العجوز أنسيت الخطاب..؟

الفتاة خطاب..!

العجوز ما أشدَّ ما يحجبُ إعجاب المرء وغروره بنفسه بصيرته عن الحقيقة..

الفتاة أنت تبعثين الرعب في قلبي.. أرجوك دعيني، ففي الخارج صديق ينتظرني، يجب أن نلحق موعد القطار..

العجوز أي قطارٍ يا بنتي.. أو يا..؟!

الفتاة أيُّ قطارْ..! ما الذي تعنين بأي قطار.. ما الذي تقصدينه.. أثبني إلى رشدي يا إلهي، إنني أشعرُ بدوخة.. أو إني أشعر بسائلٍ بارد يجتاحُ كل خليةٍ من جسدي..! إنني أنتفخ!!

العجوز آه.. تقصدين القطار الذي استقليته إلى السينما..في مثل هذا المساء الشتوي البارد!

الفتاة استقليته..! **(تضحك هازئة)** أقول لك إنني أتهيأ على وجه السرعة كي ألحق به..

الفتى لقد تأخرت عزيزتي.. آه، أنسيتِ أن أصدقاءنا سينتظروننا في المحطة.. سيقلقون علينا دون شك؟

الفتاة أتسمعينه؟

العجوز سمعته.. كان ذلك من أمدٍ بعيد.. بعيدٍ جداً.. هو الآن يأتيني في طوايا قصف الرعد، وفي أزيز الريح.. أراهُ حين أتأملُ الشفق الحزين كل مساء، حينما تتداعى ذكريات الشبابِ، تمرُّ من أمامي جحافل منهزمة، ناكسة الرؤوس، كل ذكرى تقتاتُ من قلبي شيئاً.. تمرُّ من أمامي كالحةً في مسار كئيب..

الفتاة **(تشعر بارتعاشة)** أرجوكِ، لستُ أفهمُ ما يدور من حولي.. عليّ أن ألتحق بالصديق الذي سمعتِهِ منذ قليل.. **(تزمع الخروج)**

العجوز "أناديكِ: يا أمّاه، فإن أثقال السنين كسرتك.."

الفتاة **(تتوقف، مندهشة، تتفكر في الكلمات، تتحدث إلى نفسها)** ربما تصادف أن قلت شيئاً من هذا القبيل..

العجوز "بل أناديكِ يا بنتاه.. فإن ذكرى الزمن أيقظتك.."

الفتاة أوّاه.. كيف لهذه الحرقات أن تندلق من فِيْكِ وهي لم تغادر ظلمة أدراجي إن كنتُ قلتها.. أو وشوشت بها إلى نفسي؟!

العجوز " ومن أطوار قلبي يخلق الزمن كل ما فيك.. ".

الفتاة أيتها المرأة المسكينة، الفانية، ما الذي تحاولين إلقاءه في قلبي في هذه اللحظةِ التي تبدو لي الدنيا كأساً برّاقاً، وأمواجاً تضجُّ بها أنوار الشباب النضر الرائع..؟! (تهزّها) أريدك أن تعرفي أنني، وإن قلت شيئاً من هذا، افترضي هذا.. إلّا أنني لستُ على استعدادٍ أن ألقي بمزاجي المتحمس في سلّة النكاية بالشباب.. افهمي هذا.. أرجوك افهمي.. وغادري فوراً هذه الغرفة..

العجوز " آه، أيتها السائمة المكدودة.. ".

الفتاة من..؟ أتقصدينني..؟!

العجوز "إن الصبيحة في السماءِ لشمطاء، أفلا تذكرين السحب كيف تساق، أترينها عند الغروب"؟

الفتى يا إلهي ما الذي يحدث.. هل حدث لك مكروهٌ يا عزيزتي؟

الفتاة (على وشك الاندفاع نحو الخارج).. حسناً لقد..

العجوز "تمهلي برهةً في ختام مطافك الطويل..فإن هذه الساعة الموحشة لألفة لساعة التدبر والتذكار.. ".

الفتاة آه.. أحسُّ بأن أغلالاً تكبّل أقدامي عن الاندفاع نحو

الخارج، ما الذي يحدث لي.. أخبريني أيتها المرأة العجوزُ من تكونين.. أو ارفقي بي وبصاحبي..

العجوز " يؤلمك أيتها الصامتة الخافقة تذكيري لك.. ".

الفتاة تذكيرك لي.. بأي شيء؟ هل ثمّة أشياء مشتركةٌ بيننا؟ ما الذي تحاولين تذكيري به؟

العجوز " بتلك الهضاب.. ".

الفتاة الهضاب..!! تقصدين تلك الغابات التي كنت ألهو فيها صبيةً غرّة.

العجوز أقصد "هضاب الشباب.."!! (**تلك**) "التي عصفت عليها السماء، وتلك الأعاصيرُ الأوابد من القوة والعافية التي خلفتها وراءك.. ".

الفتاة رفقاً بي أيتها المرأة العجوز.. رفقاً بهذا القلب النضر، المتفتح نحو الدنيا كزهرةٍ متورّدة..

العجوز "اعلمي أن البطحاء الموحشة التي تدرجين فيها الآن إنما هي دنيا مساءٍ صموت.. وتأملي تلك القمم المغشّاة، إنها تسفرُ عن صباح ".

الفتى (**يتحول صوته إلى صدى**) لم أعد أستطيعُ الانتظار.. أرى أن ثمّة شيئاً أهم من الخروج معي يحوز على اهتمامك في هذه اللحظة..

(**أصوات رياح..**)

العجوز **(تشير نحو النافذة)** "اسمعي هاتيك رياح الجبل تهب بالغيوث.. "انظري" هاتيك القمم على غرّة تتألق بالشعاع.."..

الفتاة **(تهرع نحو النافذة)** ما الذي ترمين إليه بهذا..؟!

العجوز **(وهي سارحة)** "حاشاي أن أدعك تذهبين -ناسيةً - إلى الموت.. "

الفتاة الموت!! يا للرعب.. لقد تورّم جسدي لهذه الكلمة.. أرجوك أيتها العجوز الشمطاء.. لستُ بحاجةٍ إلى أحدٍ كي يذكرني بالموت.. لو تمعنته لمتُّ من فوري.. أريد أن أعيش.. أن أمرح، أن أتسلق تلك القمم التي ذكرتها منذ قليل، أريد أن أرقص على وقع رياح الجبل وهي تهبُّ بالغيوثُ..

العجوز **(غاضبةً، وهادرة)**

"ليتني أعلم أي جانب من قلبي هذا المضطرب سيتبعك.. إلى حيث الرياح لا تعصىٰ ولا تنهزم.. وحيث أزهار الجبال الصبية لا تعيش ولا تجود..".

الفتاة **(تردُّ بحدّة هي الأخرى)**

لستُ بحاجةٍ إلى أي جانب من جوانب قلبك، أيتها الماكرة كي يتبعني، ولست مسؤولةً عنك، وليس ثمة ما يربط بيننا سوى هذه اللحظات التي أحسُّ فيها أنني غارقةٌ في بطنِ جبٍّ عميق، لا يسمعُ أحدٌ صوتي فيها سواي..

العجوز حسناً "دعي خطابي وفيه ما فيه من خواطرك المفقودة.. ينبئك كيف كانت الطريق في بداية الطريق.. ويصحبك إلى الغابة.. حين إلى الغابة تنتهين".

الفتاة **(تضحك بهستيرية)** الغابة.. الغابة.. أيّة غابةٍ هذه التي أنتهي إليها، يبدو أنني ثملت.. أو ربما جننت.. أين عقلي.. أين هذا الذي طالما وقف إلى جانبي في ساعات العسرةِ، حيث تقف العقولُ عاجزة، بليدةً، خائرةً عن التفكير.. أين هو الآن.. لا أكاد أسمع له صوتاً.. أتراه انكمش كهرٍّ بلّله المطر في ركنٍ دافئ..؟! **(بلهجة تهديد)** اسمعي أيتها المرأة العجوز.. لقد اقتحمت عليّ غرفتي، وأنت تعلمين أن القانون يعد فعلك هذا جريمة تعاقبين عليها.. اسمعي سأسامحك هذه المرّة، انسحبي بهدوء، وألقي بنفسك من النافذة.. كي لا أرفع سمّاعة الهاتف..

العجوز كيف أغادرُ، وكنتِ سبباً في مجيئي..!!

الفتاة أنت لغزٌ كبير.. أريحي فؤادي العليل، وأشفقي عليه..

العجوز **(تبتسمُ في هدوء.. تجلس على كرسي متأرجح..تأخذ نفساً طويلاً..)**

الفتاة **(يمزّقها الغيظ)** يا ربي، يا مانح الصبر.. أيّة ساعةٍ هذه التي تأكل من عمري، سأصاب حتماً بقرحة المعدة..

العجوز "آه.. رب ساعةٍ من ساعاتك تقودك فيها خواطري.. فما تشعرين إلّا والرياح من وطنك القديم تحوم حولك.. وإن أخفاك عنها الزّمن والظلام والسكوت..".

الفتاة كيف يمكنُ لي أن أسلخَ نفسي من هذا الكابوس الذي يحدثُ في يقظةٍ مني.. أنا لا أتوهّم.. أعرفُ نفسي حين أكون كذلك، إنما ثمّة أمر غريب.. ثمّة إحساس لم أستوعبه بعد.. **(تشير إليها بإصبعها مهدّدة)** أنت تتجاوزين معي كل حدود اللباقةِ..

(تنهض العجوز، تقف عند النافذة، برقٌ ورعد، ورياح)

العجوز "وبعد فمالي أقفوكِ بخواطري هذه ليت شعري..!! إن الحياة تتبدل.."

الفتاة **(بانفعال)** كل شيءٍ يتبدل.. كل شيءٍ يتبدل.

العجوز "وإنك مع الأيام تتبدلين.."

الفتاة **(بعمق، وبإحساس عميق)** أنا..! **(تغمض عينيها، وتنكس رأسها، وترشف نفساً عميقاً، تتهجى الكلمات)** أنا أتبدّل.. أنا أتبدّل.. **(يفاجئها صوت العجوز الهادر)**

العجوز **(تنظر نحو الخارج من النافذة، وترفع صوتها)**

"فيا أيتها الطبيعة التي لا تتبدل، ليتك تردّين إليها فؤادي الضليل.. ".

الفتاة بأي دعاءٍ تدعين أيتها المرأة العجوز.. كيف يمكن للطبيعة أن ترد فؤادك إليّ..؟.. أرجوك ارحميني **(تبدأ في البكاء)** أشعرُ أنك تجترّينني إلى هاويةٍ سحيقةٍ.. ارفقي بي أيتها الإنسانة.. ارفقي بهذا الشباب الطافح بالحياة في قلبي،

وهذا الجسد النافر بالجمال الأخّاذ، واتركي لي الزهو والخيلاء هدايا الحياةِ إليّ، لا تسلبيها منّي في لحظةٍ غادرةٍ كهذه.. أرجوك.. دعي لي عيوني النجلاء، شفاهي المكتنزة، صدري النافر، قوامي المصقول، خدودي التي تشبهُ ثمرات الكمثرى الغضّة..

العجوز **(تخطو أمامها، والفتاة جاثية على الأرض.. دون أن تنظر إليها)** "ونحنُ وقد تبدت لنا لمحة بعد لمحة ونسمات بعد نسمات تتعقب إحدانا الأخرى في شتى المسارب والدروب.. على نفحات الطفولة الخالدة التي تتأرجح بها الرياحين أطفال الخلود".

الفتاة يا لهذا المساءِ الكالح، المشؤوم، ترى بأي حالٍ سأرى الحياةَ بعد هذه اللحظات.. **(تتشنج في بكائها.. صمت، ترفع رأسها، شعرها منفوش.. تحدجُ العجوز بنظراتٍ حاقدة)** لن أدع نفسي نهباً لكلماتك البغيضة أيتها الفانية، لن أستسلمَ لهذا الفحيح المنطلق من فِيكِ البغيض.. إن الشباب الذي يفيضُ عليَّ بأنعامِ السرور، وألطافِ المباهج هو الأحقُّ بالإنصات، اسمعي هذا الفوران القويّ لصوته.. في كل أرجاءِ الدنيا.. اسمعيه كي تدركي أنك نسيّ منسيّ، لا تنتمين إلى العالم الذي نعيشه، أما الآن فدعي لي كل هذا.. دعي لي الأغنيات، والرقص، والضحكات، والانغماس في أصابعِ الصديق في طريق النشوة..

العجوز اعلمي أيتها الفتاة.. أنني ما قلت لك ما قلت إلّا وفي

قلبي طواياك.. في قلبي أنت..

الفتاة (**بصوتٍ غاضب، صارخ**) لقد أحرقت قلبي وأسلت عبراتي أيتها المرأة الفانية.

العجوز "هو شباب واحد وينطوي من الحياة الضياء..".

الفتاة (**بغصّة**) اصمتي..

العجوز "هو صباحٌ واحد ويغشى النهار السحاب ".

الفتاة كفى أرجوك.. كفى..

العجوز "هي شيخوخةٌ واحدة تتلاقى فيها الأشجانُ والهموم، جموعاً وراء جموع..".

الفتاة (**تبكي**) أرجوك توقفي.. توقفي عن الوخز.. إن قلبي يرتجف كورقةٍ تضربها سياط الريح..

العجوز "صهٍ يا لساني.. إن كلماتي أسالت عبرات عينيكِ..صهٍ، صهٍ فما أغزر ينبوع الدموع.. يا للجفون البائسات، فما أسرع ما تبكي وهي قريبةٌ إلى الرّقاد..".

الفتاة (**تجري نحوها لتضيق الخناق على رقبتها**) وليس لي سوى التّخلص منك، ورميك في النفايات قبل أوانك..

العجوز ..(**تظهر لها الخطاب، دون أن تستطيع التعليق، ترخي الفتاة قبضتها مدهوشةً، وهي تنظر للخطاب، تتراجع**) هل تذكرتهِ الآن..؟!

الفتاة (**تتجرع الغصص..، تشيح بوجهها، تبكي**)

العجوز لقد كتبتها ذات يومٍ إلى المرأة التي ستكونها بعد سنين..

المرأة التي كدت أن تلقيها في خزّان النفايات.. واجهي الحقيقة.. ارفعي رأسك أيتها الشابّة الغضّة.. اعترفي أمامي بأنك قد كتبت الخطاب.. وأنني أنت في موسم الخريف حيث هي روحٌ واحدة ساجية في فضاء هذا الكون الرحيب كورقةٍ توت في مهبِّ الريح..

الفتاة لا يسعفني أي شيءٍ على الكلام..

العجوز **(تتجه نحو النافذة، وهي تتمتمُ بهذه العبارات، أو تهذي بها)** "عذراً للفتاة، لقد وسوست لها نزوةٌ من غرائب نزوات الشباب.." لقد انزرقت في دروب الحياةِ المشتعلةِ فألهتها عن القدر المحتوم.. اغفر لها يا إلهي.. إنها لم تزل بضّة، مسكينةٌ تنظرُ للدنيا نظرةَ غرٍّ يتلذذُ بكؤوس الفرح الغادر.. ستهبُّ الرياحُ، وستدور الأرض دوراتٍ بعد دورات.. وتتوالى الفصول، وسيتبدل الشعر الأسود الفاحم، إلى أبيض مشتعل.. مكِّن لها يا إلهي بصيرتها.. كي تراني فيها.. **(تلتفتُ إليها)** أنا صورتك أيتها الفتاة المغرورة..!!

الفتاة **(بيأسٍ واستسلام)** عرفتُ هذا، وكنتُ أحاول التنصل من الحقيقة.. **(تغالب دموعها)** لقد كنتُ سبباً في شقاء مسائي.. آهٍ من هذا المساء المتلوّن.. أجل لقد كتبتُ ذات يومٍ إليك.. يا.. يا..

العجوز قوليها.. فلا مفرّ منها إن سنح لك المصير..

الفتاة أجل عليّ أن أقولها.. أقولها يا أنا..!

العجوز لقد أدميت قلبي بكلماتك أيتها الآنسة الرقيقة.. هل كان عليك أن تستبقي مشاعرك في شيخوختك قبل أوانها؟! هل كان عليك أن تتخيلي كل هذه العذابات وهي تترى في مسلسل ذكرياتك قبل أن ينحني قوامك الطري، وينحل عودك الريّان..؟!

الفتاة إنما كانت لحظاتٍ تخيّلتُ فيها شيخوختي.. نظرتُ إلى المرآة فتخيلتُ وجهاً غير هذا الوجه الصبوح، وشفاهاً غيره.. وجهاً بأخاديد عميقةٍ، وتغضنات متهدلةٍ، وجبين مقطب على الدوام..!

العجوز **(تقابلها)** وها هي الصورة الآن.. صورتك أيتها الآنسة.. انظريها، وتأمليها قبل أن يطوي السماء سحابه، والفضاء شفقه، والنهار جحافله، والربيع زهوره..

الفتاة احضنيني يا شيخوختي.. احضني ذكريات شبابكِ.. " التي ستسري إلينا **(ذات يوم)** في المساء كأنها قبلة الصباح " **(يتعانقان، يصيران خيالاً خلف السلويت)**

الفتى لقد فاتك الفيلم السينمائي عزيزتي.. كان رائعاً، كم تمنيتك أن تكوني معي.. كان عبارةً عن قصة مثيرةٍ لفتاةٍ تخاطب المرأة العجوز التي ستكونها بعد سنين..

الفتاة يا له من مساءٍ.. آهٍ يا عزيزي آه.. "إنما هو شبابٌ واحد وينطوي من الحياةِ الضياء".

انتهت المسرحية

مسرحيّة

ذكرى منسيّة

صفحة بيضاء
رقم ٩٨

الشخصيات:

هو: سعيد أسعد عامر

هي: سميرة الوهيبي

صفحة بيضاء
رقم ١٠٠

بداية المسرحيّة

((هي) تجلسُ في زاويةٍ ما، طيفُ (هو) يُرى خلف الستارِ خطفةً، ترتعشُ (هي)، تنتفضُ واقفةً وقد أحسّت به، تشعرُ بقشعريرة، يمرُّ طيفه مرّةً أخرى، تهرع نحو الستار الذي يمرُّ خلفه)

هي انتظر.. ها أنا هنا أحتسي مرَّ اشتياقك.. **(يمرُّ طيفه دون أن يقف)** أنا هـ.. **(لا يعيرها انتباهاً..)** توقّف يا طيفهُ الجميل.. ما الذي حلَّ بك؟ كنتَ تعرفُ مكاني، كنتَ لا تعبرُ هكذا في خطفاتٍ سريعة.. ما الذي جرى..؟ **(يمرُّ طيفه مروراً متلاحقاً دون أن يقف)** هيه..!! يا طيفهُ الجميلُ في قلبي، هل فقدت بوصلةَ الحبِّ أنتَ أيضاً، هل فرغَ قلبك من اللّهفة؟ **(يعود إليها، تهرع إليه خلفَ الستار، يضع يده في رقبتها محاولاً خنقها.. تتخلّصُ منه، تعودُ إلى المسرحِ وهي تنتحب)** كان طيفهُ غريباً، شائه الوجهِ، أرعنَ القسمات.. ما الذي حلَّ به، كان يأتي فيساقيني أكؤس الغرام، كنّا نحتفي أحدنا بالآخر، طيفهُ وأنا.. **(تتجّه إلى صورته التي يسلّط عليها الضوء)** قل لي ماذا تبقّى منك، أنتَ تمثالٌ حجريٌّ، وطيفك الذي يؤنسني في غيابكَ وحضورك تحوّلَ إلى حيوانٍ مفترس.. فما الذي تبقّى لي..

ما الذي تبقّى غير كلماتٍ أقضمها ككسرِ الخبزِ المستعصِي على الازدراد..؟! انظر؛ وردتانِ، وكوبا شاي، وصورٌ وقلبٌ معلّقٌ في مشجبِ ماضٍ بعيدٍ، يتجدّدُ آملاً علّك تجيء.. **(تلتحفُ، وتنتبذُ ركناً)** ليلةٌ باردةٌ، تتجمّدُ فيها الأطراف، وربّما هو في محجرٍ دافئ.. **(ظلمة، يدخلُ (هو) وفي يده شمعة، يجلسُ على الكرسي الخشبي بطريقةٍ معكوسة بحيث يكون صدره ملاصقاً لمسند الكرسي الداخلي، تُضاءُ شمعةٌ في إطار صورة فارغ تملؤه بحضورها فيه، تُرى (هي))**

هي **(يلتفتُ إليها مع إضاءة الشّمعة)** إلّا هذه اللّيلة!! **(صمت)** خزينةٌ صغيرةٌ في ذاكرتي أبداً مخضوضرة، مترعة بالزهور، والأراجيحِ، والضحكاتِ المتدفّقة لغيرما نهاية.. ما زالت تحتفظُ بهذه اللّيلة خضراء نضرة..

هو الذاكرةُ لا تحتفظُ بالتفاصيلِ القديمة، الذاكرةُ تهترئ مع تقادمِ الزّمن..

هي كنتَ أنتَ واقفاً، تترقّبُ مروري إلى المدرسةِ، حشرتَ في نتوءاتِ أحدِ الجدران رسالةً لا تزالُ أحرفها عالقةً في ذاكرتي..

هو نظرتِ إليَّ وابتسمتِ.

هي بل لم أُلقِ عليك نظرة قط! كنتُ غارقةً إلى آخرِي في الحياءْ..

هو لكن في تالي الأيّام بدأ قلبُكِ يلينُ.

هي هو عامٌ كاملٌ وليست أيّاماً، كنتُ أختبرُ فيها صحّة لوعتكَ، وصدق تعلّقك، كانت والدتي تقولُ لي إنّ الفتى المحبَّ هو الذي يقفو آثارَ حبيبتهِ ولو صدّته مراراً عنها..

هو أذكرُ رسالتك الأولى، لقد كانت طافحةً بالعطرِ.

هي (**تنهض**) كانت قطعةً من قلبي ولم تكن رسالةً بمعنى الرّسائل.. كتبتها وأنا في أولِّ الحلمِ، كانت الحروف تنطلقُ كأحصنةٍ جامحةٍ لم أستطع ترويضها.. وكانت تقودني في صحراءَ بيضاءَ من كثيبٍ لآخر دونما قدرةٍ على التّوقف..

هو أذكر أنّها كانت من صفحتين مليئتين عن آخرهما.

هي بل اثنتا عشرة صفحة..

هو (**مندهشاً**) هل وصلت إلى هذا العدد..! إذن كانت رسالةً طويلة..

هي وقرأتها أنتَ عدّة مرّات..

هو كيف عرفتِ؟

هي كم مرّةٍ ردّدت لي عباراتٍ منها، قلتَ إنّها عباراتٌ محفورةٌ في ذاكرتك لا تمحى ما حييت..!

هو ما أشد قسوة الزّمن!!

هي إحدى العبارات التي كنتَ تردّدها تقول: شامخون أبداً كالنخيلِ في سموقها..

هو وكالغصونِ..

هي **(مصحّحةً)** وكالسَّواري في هيبتها و..

هو وهي تمخرُ العباب.. **(يحاول البحث في الأوراق عن رسالتها، ينثر الأوراق دون أن يجدها).**

هي **(مصحّحةً)** وهي تحتضنُ الرياح فتندفعُ إلى حلمها..

هو لم أعد أذكر أين احتفظتُ بها..!

هي **(بحرقة عميقة)** لم تعد تتذكّرُ كلّ شيء!! **(تخرجُ من الإطار، صمت)** الكلماتُ المنمّقة الألوان، العباراتُ المرشوشةُ بالعطرِ، الورود التي تبعثها كلَّ يوم، اللّمساتُ الحانيةُ، دفءُ الأنفاس.. كلُّ ذلك لا تتذكرّه **(تجلسُ على الكرسي الذي كان يجلسُ عليه وبنفسِ وضعيّته)** إنّما تتذكّرُ الكرْمَ، فتغبشُ إليه كما غبشَ الإخوةُ الثلاثةُ إلى مزرعتهم التي أُحْرِقتْ قبلهم..!!

هو أنتِ تثقلين عليَّ اللّوم، ترفّقي أيّتها الحبيبة.

هي **(تعودُ ثانيةً إلى الإطار في أثناء كلامها)** حبيبة!! حبيبةٌ مسحوقةٌ بين جدران أربعة، يطويها الزّمنُ في خفوتٍ مرعب، يتناوبُ عليها ليلٌ دامسٌ، ونهارٌ شاحب، وهي بين أُطر

هو اخرجي من الإطار الذي سجنتِ نفسكِ فيه.. تعالي كي نتكلّم.

هي الأجسادُ لا تتكلّم مع أمثالها، ثم ما الفرق؟ إطارٌ في إطارٍ في إطار.. كلُّ حياتي أضحت أُطراً.. وأنا سجينةُ أطر ليس لها نهاية..!! **(يدخلُ هو في إطار صورته الفارغ، تخرجُ هي)** كلُّ نهاري وليلي أبحثُ عنك، كعصفورةٍ تبحثُ عن وطنها المفقود، أنظرُ إلى ثلاثةِ أطر: صورتكَ والنافذة، والمرآة.. ذبتُ مع الشمعةِ، ذبلتُ مع الوردةِ انتظاراً لك، لكنَّ الشارعَ كان يغول بفراغهِ في قلبي، كان كمخرزٍ أسود يشكُّ ذاكرتي، يفتكُ بي كلّما نظرتُ إليه، صرتُ أتحاشى النّظر إلى الشّارع، أردُّ إلى صورتك الواجمة في الجدار، لعلَّ صورةً تتحدّث إلى صورة..! كانت الصورةُ تستفزُّني تخرجُ من إطارها..

ظلّه **(بصوتٍ هازئ يختلفُ عن صوتهِ الحقيقي بينما يظلُّ هو في إطار الصورة)** ها أنتِ أيّتها العصفورةُ الشقيّة في قفصٍ ليس له باب.. ليس فيه سوى قضبان، وقهقهات حقيرة، وأصداء ذكرياتٍ بالية كي تقيمي عليها أودك..! علّقني لكِ في الجدارِ كي أطالعك ليل نهار، أذكّرُك بأنّ كلَّ شيءٍ ينتسبُ إليه، وأنبهك بأنّه يملك رَسنَ الحصان، فلا تغترّي بطول الغياب..!، أزرعُ في نفسك الخوف، والهيبةَ منه كي لا تسوّل لك نفسك الخيانة..!

هي أيّتها الصورةُ الجامدةُ التي حُفرت في قلبي حفراً، تغيّرت أحاسيسي ضدّك، كنتُ أنظرُ إليكِ فأهيمُ وجداً، وأرقصُ حبّاً، لكنّكِ الآنَ لستِ عندي سوى **(بورتريه)** يرمزُ إلى

الخيانةِ، والمكرِ، والنفاق.. صورة سجّانٍ يحملُ أقفال سجنهِ أينما ذهب..

هو (**يخرجُ من الإطار**) عشتُ صراعاً في داخلي بعد أن تزوّجنا.. أنتِ لستِ أنتِ، رأيتك أخرى غير التي كنتُ أحبُّها، تلك كانت جميلةً، آسرةً، يونقُ الزّهرُ منها، أما أنت فجسدٌ مستنسخٌ منها، لكنّك لا تشبهينها في رقّتها وعذوبتها، عشتُ بين الذّكرى الجميلةِ وبين الواقع، عشتُ التّشظّي بين اثنتين.. الأولى رقيقةُ الشّعور، أنيقةُ الظّهور، وأنت جامدةٌ، باردةٌ، تجأرين بالخذلان المنهزم..

هي هذا لأنّك خامدُ الشّعورِ كخمودِ النار في الفحم المبلول..!

هو كنتِ قادرةً على إذكاءِ النّارِ في جوفي كلّما شئتِ، كنت قادرةً على أن تعيديني إلى ذاتك، لكنّك بالغتِ في الاستشعار بالبرد..

هي جئتكَ بجناحين يخفّانِ إليك خفّاً، أنيقةً وديعةً، أقتطفُ لك من الزّهور أجملها، وأنتقي لك من العطرِ أشذاه، وأحتفي بك كلّما أطللتَ عليَّ.. كنتُ أكبتُ الشكوك التي بدأت تنبتُ في نفسي، أتخلّصُ منها كما يتخلّص الفلّاح من الأعشابِ المشؤومة.. لكنّك (**تجلسُ على الكرسي في نفس الوضعية**) لا ترى كل هذا، أو تراهُ بعين السجّان..

هو الحياةُ تحاصرني كذئابٍ تنهشُ فريستها من كلِّ جانبْ..

أريدُ من أتكلّمُ معه عن هذه الذّئاب، من يقول لي كيف أنتصرُ عليها، كيف أمضي دون أن ألوي إليها وهي تعوي، أن أصفح عن عدائها، أو أصم أذنيَّ عن عدوانيتها الصاخبة.. لكنّني كنتُ أبصرُ في مقلتيكِ ذئباً صغيراً يكبرُ ويكبر.. كنتُ أشعرُ أنّك الأخرى ذئبة جارحة الأنيابِ تنمو فوق مفرشي..!!

هي أنتَ من بدّلت الحملَ الوديعَ في داخلي إلى ذئب.. حينما أبدلتَ المرعى الأخضر، النَّضرَ، الأنيق إلى صحراءَ ذات مفازاتٍ شاحبةٍ، موغلةٍ في اليباس.. آهِ يا قلبي..! أتذكرُ هذه اللّيلة؟

هو ذاكرتي مهترئة.. لا تتذكّرُ أعواماً فكيف تتذكّرُ ليلةً يتيمة..؟

هي هي ليلةٌ أمست كمتسوّل يزورنا كلَّ عام، يحاول أن يجترَّ ما بقي عندنا من زيتٍ وشمع وورد.. كلَّ عام لم تكن أنت ضيفَ الليلة؛ كان الفراغُ وصورتك، لكنّما هذه اللّيلة جئتَ بلا وعي، أخطأت في تقدير التواريخ لأنّها بلا معنى عندك.. كنتُ أنوي الاحتفالَ بهذه الليلة بنفسي ككلّ عام وأن أهديك ورداً في غيابكَ.. أوقدتُ شمعي ووضعتُ ككلِّ عام باقةَ وردٍ على الطاولة كما يضعُ بعضهم الورد على ضريح.. دعني - أرجوك - أمارسُ طقس احتفالي وحدي.. (**يعودُ إلى إطار الصورة، توقدُ هي بعض الشموع، تفتحُ الموسيقى، تحضّرُ ألبومات الصُّور**) تعالي أيّتها الصّورة كي نحتفلَ بعيدِ زواجنا العاشر..

هو **(يخرجُ من الإطار شخصيّة منبسطة، معاكسة للتي كانت منذ قليل)** عشرُ سنواتٍ من الحبّ والهيام..

هي كان يفترضُ بك أيتها الصورةُ مواساتي لا نبش المواجع..!..

هو أعلمُ ذلك، لكنني أردتُ إسعادك في ليلة زواجكِ منه.. جئتكِ وأنا بنفسِ المشاعرِ الجميلةِ التي كنّا عليها منذ أكثر من عشرةِ أعوام.. أرقبُ كلَّ شيءٍ في صمت.. أرجوك اتركي كلَّ أحزانكِ في جانب ودعيني أحتفلُ اللّيلةَ معك..

هي كلامك صحيح.. **(تسكبُ له الشاي، تناوله)** تفضّل.

هو شكراً **(يرشف الشاي، يطالعُ الصُّور)** ذكرياتٌ لا تنسى..

هي **(تضحك، وهي تطالع معه إحدى الصُّور)** كنّا هنا نمشي بمحاذاةِ حمام سباحة في أحد المنتجعات، وفجأةً أراد أن يمزح معي بإسقاطي في الماء، هربتُ منه وهو يتبعني، وفجأة انحرفَ عن مساره فسقط بملابسه في الماء، انظر تعابير وجهه وهو يلامسُ الماء البارد..

هو هل يُبهجك هذا الموقف؟

هي يعيدُ إليّ بعض المتعة.. وهنا موقفٌ آخر كنّا نجري في مساحةٍ خضراء وفجأة برزت لنا حفرةٌ مليئةٌ من الطّمي، لم يستطع هو تجاوزها فسقطَ فيها، وسقطتُ أنا قريباً منها أتقلّب من الضّحكِ على منظره.. انظره والطّمي قد كساهُ من أوّلهِ إلى آخره..

هو تتحدّثين عنها بسعادة؟

هي هذه هي قيمةُ الذكريات السعيدة، تعيدُ إليك الابتهاج، تستحضرُ فيها اللّحظات، فتؤنسكَ، وتهدئ خواطرك، أو قل لتُسري عنك ولو بعض شيءٍ من السلوان..

هو **(يثور، تعودُ شخصيّته إلى الأصل، يبعثرُ كلَّ شيء أمامه)** بل إنّك أردتها تسليةً لك، تسخرين بها منِّي..

هي رفقاً أيتها الصورة..

هو بل أنا هو ولست صورته.. أنا حاضرٌ بكلِّي أمامك.. وقد أردتُ أن أجسَّ نبضك.. أردتُ أن أرى كيف تحتفلين، فوجدتُ احتفالك مجرّد سانحةٍ للانتقام مني، وازدرائي، تريدينني ملأ فراغك، وحسرتك بالضّحكَ مني..

هي أسأت الفهم..

هو لقد كان واضحاً من يسيء فهم الآخر.. أنت تجيدين الانتقام..؟ ولولا ذلك فأين الصورةُ التي أدثّرك فيها بمعطفي وأنت تنتفضين برداً..

هي أيّة صورة.. أي مكان؟

هو حينما كنّا نقضي إجازتنا القصيرة، وانثالت علينا الثلوج فجأة، حينها كان صدري لك مدفأة..

هي أكان ذلك في الشتاء..؟

هو وكنّا نمشي على ضفافِ نهرٍ متشابكي الأيدي.. (يتثاءب) أشعرُ بالنّعاس..!

هي مهلاً، فأنت بلا مواربةٍ تتحدّث عن أخرى..! لم يسقط علينا ثلجٌ معاً في يومٍ من الأيام، كل ما أتذكّره أن عاصفة غبارٍ هي التي سفعت وجوهنا، حينها لم تنتبه لي، بل أدرت ظهرك للريح، في حين كنتُ أنا أبحث عنك.. لقد اختلط عليك الأمرَ..

هو لا يعمر قلبك سوى الشك، وهو الذي نفّرني منك..

هي ليتهُ كان شكّاً، لكنّه اليقين الذي يجري به لسانك، ويقرُّ به بيانك..

هو لا تحتفظين في صندوق ذاكرتك إلا بما يسلّي تشفِّيكِ منّي، هكذا أمست حياتك.. انظري إلى وجهك في المرآة..إنّه يتشظّى..!

هي **(تركضُ، فتقبضُ بشدّة باقةَ الوردِ وتقدّمها له غاضبة)** هل تتذكّرُ هذه اللّيلة؟

هو **(وهو ينتزعُ منها باقةَ الورد، ويفتتها)** لا أذكرُ شيئاً.. أنتِ مجرّد سجينةٍ عندي لا يحقُّ لها مساءلتي **(يقودها من يدها، يرميها في قفص صغير)** لا يحقُّ لها تذكيري بالأيّام ولا بالذكريات، أنا الذي أحدّد أيامي وذكرياتي، أنا من يكتبُ تفاصيل مواعيدي، أنا الذي أتحكّم في ذاكرتي، أوجّهها كيف أشاء، لا أريدُ من أحد أن يشعرني بشيء، أنا سيّد أحاسيسي، أفهمت.. أنت هنا..

هي لا فرق أيها العزيز..! كلّه سجن.. كلّه إطار..

هو (**يعود إلى الصُّور المبعثرة، يلتقطها، يمزّقها**) كي لا تهزئي بي في ليلتك القادمة.. كي تبقى صورتي الشامخةُ والجدار.. (**يجلسُ على الكرسي بنفس وضعيّته**) أنت لستِ عندي سوى جسد..!

تنتهي المسرحيّة